

مَجَلـة شَهـريَّـة اسْلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤١)	ذو الحجة ١٤٣٠ هـ
العدد الثاني عشر	ديسمبر ٢٠٠٩ م

المشـرف العام: **عبـد اللّٰه سعـود بن عبـد الوحيد**

رئيس التحريـر: **أسعد أعظمي بن محمد أنصاري**

☆ عنوان المراسلة:	**صـوت الأمـــة** بی ۱ / ۱۸ جی، ریوری تالاب، بنارس، الهند THE EDITOR B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک باسم:	دار التاليف والترجمة، ريورى تالاب، بنارس، الهند DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک السنوي:	في الـهـند (١٥٠) روبيــة، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخــة (١٥) روبيــة

☆ تليفون: ٢٤٥٢٢٤١ / ٢٤٥١٤٩٢ ـ ٥٤٢ ـ ٠٠٩١ فاكس: ٢٤٥٢٢٤٣ ـ ٥٤٢ ـ ٠٠٩١

محتـــويـــــات الـعـــدد

الافتتاحية

محاولة يائسة للنيل من دعوة شيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

إن البحث عن الجذور الحقيقية للإرهاب لا زال الشغل الشاغل للقادة والدول، فيخصص لهذا الغرض ميزانيات، وينفق الملايين من الدولارات، وتعقد الندوات والمؤتمرات، يتحدث فيها المتحدثون، ويشيرون إلى دوافع الإرهاب وبواعثه، ويقدمون الاقتراحات للقضاء على هذه الجرثومة، مع كل هذا وذاك يرى العالم أن سلسلة الأعمال الإجرامية والحوادث الإرهابية لا تنقطع، ودماء الأبرياء لا تزال تسفك رخيصة هنا وهناك.

ليس قصدي – في هذه السطور – الخوض في ذكر أسباب الإرهاب وبواعثه ووسائل القضاء عليه، وإنما أريد الإشارة إلى ذلك المؤتمر العالمي الذي انعقد مؤخرا في مدينة نيو دلهي عاصمة الهند للبحث عن مدى تأثير القوانين في القضاء على الإرهاب، وألقي فيه المدعو رام جيت ملاني، المحامي، ووزير العدل السابق للهند، وأحد أعضاء حزب بهارتيه جنتا، كلمته، اتهم فيها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب والدولة السعودية بأنهما قاما بغرس جذور الإرهاب في الشباب، وقد استعمل المحامي المذكور كلمات غير مناسبة عند ذكره لشيخ الاسلام رحمه الله، مما أثار حفيظة المنصفين من حضور المؤتمر، وقد سجل سعادة السفير السعودي لدى الهند الأستاذ فيصل بن حسن طراد احتجاجه على ذلك بالخروج من جلسة المؤتمر عند تحدث المذكور بتلك الكلمات البعيدة عن الحقائق.

من هو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ؟ وماذاكانت عقائده ؟ وماذا كان يقصد من حركة الإصلاح التي قام بها ودافع عنها وقدم لها تضحيات ؟ وما هي الآثار والنتائج المترتبة على دعوته في الداخل والخارج؟ لسنا بحاجة إلى بذل الوقت والجهد في البحث عن

الإجابة على هذه التساؤلات، فالتاريخ يحتفظ بها في ذاكرته، والعلماء والباحثون أشبعوا الموضوع بحثا ودراسة، وكتابات شيخ الإسلام في متناول الجميع، وأتباعه منتشرون هنا وهناك، يقومون بنشر دعوته وتراثه، وها هي المملكة العربية السعودية، تلك الدولة التي احتضنت الدعوة وحمتها حق حمايتها ودافعت عنها بكل الوسائل والأساليب الممكنة، تنعم تلك الدولة بنعمة الأمن والاستقرار التي يضرب بها المثل وهي لا تؤمن بتلك المبادىء والأسس التي جاء بها الإسلام فحسب – والتي دعا إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب أيضا – بل تتخذها دستورا لحكومتها ومنهاجا لدولتها، وقادتها يعلنون في مناسبات مختلفة بأنهم سعداء بتحكيم شريعة الله، ويصرحون بأن نعمة الأمن والاستقرار ونعمة الرخاء وكذلك النعم الأخرى التي يتنعم بها الشعب السعودي إنما توفرت بمحض توفيق الله تعالى وببركة تحكيم شرعه.

هذا، والعارفون بتاريخ الجزيرة العربية وأحوال سكانها قبل عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقبل الدولة السعودية يدركون مدى النجاح الذي حظيت به دعوة الشيخ في مختلف المجالات الأمنية والاعتقادية والاجتماعية، ويلاحظون الفرق الكبير بين العهدين في النواحي المذكورة، فالمسألة ليست عاطفية، يدعي فيها المدعيحسب هواه وعاطفته، وينسب إلى من يحبه وينتمي إليه ما يعجبه من المآثر والمحامد، من غير مبالاة بدلالات الواقع.

يقول الأستاذ مسعود عالم الندوي في كتابه "محمد بن عبد الوهاب: مصلح مظلوم ومفترى عليه" تحت عنوان "نجد قبل ابن عبد الوهاب":

" لقد رأيت لمحة قصيرة لحالة العالم الإسلامي والديار المقدسة بالحكايات التيسبقت، ولكن حالة نجد – قلب الجزيرة العربية – كانت أسوأ وأسوأ.

وفي الجبيلة (وادى حنيفة) كان يعبد قبر زيد بن الخطاب، وفي الدرعية كانت توجد بعض القبور والقباب، وتنسب إلى بعض الصحابة، وكانت مراكز للتعبد الجاهلي من الدهماء، وفي وادي غبيرة كانت قبة ضرار بن الأزور سوقا للبدع والأوهام، والقلم قاصر عن بيان ما كان يعمل الشباب والفتيات مع شجرة قديمة في بليدة الفداء، فقد كانت النساء العاقرات يباشرن هذه الشجرة لطلب الأولاد، وكان غار على مقربة من الدرعية ترتكب عنده أكبر الفواحش المخزية، وهلم جرا.

كل هذا كان باسم الدين، والأشخاص المعدودون الذين كانوا يملكون بعض النصيب من الفقه والحديث ما كانوا يجدون في أنفسهم قوة تحدوهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهل كانت أغلبية علماء نجد خارجة عن عداد علماء العالم الآخرين.

أما الحالة السياسية فقد كانت أفسد وأسوأ. كانت نار الحرب الأهلية متأججة في جميع أنحاء نجد. كان بنو خالد مسيطرين على شمالي نجد (جبل شمر) في قبيلة طي والحساء، والذي يظهر أن إمارة العيينة كانت تعترف بسلطان بني خالد، وفي الدرعية كانت قبيلة عنزة ترسخ أقدامها، وفي منفوحة على قرب من الدرعية قامت إمارة دواس. ونجد مع صغره وضيق أطرافه كانت مفرقا بين دويلات وإمارات صغيرة وعديدة ". (ص: ٣٥ – ٣٧)

وقد اعترف كثير من منصفي الشرق والغرب بنجاح دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب وآثارها المحمودة، وهم من غير المسلمين، عاصروا الدعوة ومؤسسها أو درسوها وبحثوا عن جوانبها المختلفة، فلم يملكوا إخفاء النتائج التي توصلوا إليها وتكذيب الحقائق التي لمسوها.

فأين صاحبنا المحامي من تلك الوقائع والحقائق، وهل بذل من الوقت والجهد شيئا للوقوف على بعض المعلومات السديدة عن الإمام محمد بن عبد الوهاب ودعوته قبل أن يقوم على منبر إعلامي ويتكلم حول دعوة وشخصية كانت ولا تزال موضع تقدير واهتمام لدى المنصفين من المسلمين وغير المسلمين؟

وقد نصح المحامي الحكومة الهندية بقطع كل العلاقات مع الدولة السعودية التي – في حد زعمه – تغذي الإرهاب وتدافع عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

لا أعتقد أن الرجل يجهل مكانة المملكة المحروسة لدى دولة العالم عامة ولدى الجمهورية الهندية خاصة، وقد قويت العلاقات الثنائية بين الهند والمملكة بعد الزيارة التي قام بها خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله للهند قبل عامين، وكذلك لا أعتقد أن الرجل يجهل أن المملكة تتعرض بين حين وآخر للأعمال الإرهابية، وأنها تسعى – كغيرها من الدول – لقطع جذور الإرهاب بكل ما تملكه من الوسائل والسبل، وعلماء المملكة لم يدخروا وسعا في بيان حكم الشرع لهذه الأعمال

الإجرامية وتحريم سفك دماء الأبرياء من المسلمين وغير المسلمين. وكذلك لا أعتقد أن الرجل يجهل جهود خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز لتقليل الخلافات بين أتباع الأديان المختلفة، والدعوة للحوار والتسامح الديني والتعايش السلمي، وعقد عديد من المؤتمرات العالمية في مختلف دول العالم لتحقيق هذا الهدف.

يرى المحللون أن الرجل – وهو ينتمي إلى حزب سياسي يعرف بعدائه للإسلام والمسلمين – يقلقه التقارب المتزايد يوم بعد يوم بين البلدين – الهند والسعودية – ولا يستبعد أن يهدف بإلقاء اللوم على الشيخ ودعوته إثارة الخلافات المذهبية بين مسلمي الهند وتبديد قواهم السياسية والاجتماعية، لأن هذا التفرق والتبدد يخدم حزبه وييسر طائفته.

ومهمايكن من أمر، فإن إدلاء ه بهذه الكلمات لم يكن يليق بمهنته ولا بشخصيته، وإنه لم يقم بذلك بإساء ة إلى شخصيته ومهنته فقط، بل قام بإساء ة إلى هذه الدولة التي ينتمي إليها ويدعي حبه لها.

وجزى الله الأستاذ فيصل بن حسن طراد سفير خادم الحرمين الشريفين بالهند على موقفه الشجاع وتحركه الحكيم، إذ خرج من جلسة المؤتمر فور تناول المحامي لهذا الموضوع بهذه الوقاحة مسجلا شجبه وإنكاره لهذا الموقف، ومعلنا عن نفسه وعن جميع المنصفين من الحضور براء ته بل تنديده لتلك الفكرة الضالة والمضلة، فلم يكن شجبه عن نفسه وعن دولته فحسب، وإنما كان عن جميع المسلمين وعن المنصفين من غير المسلمين أيضا، فإن هؤلاء كلهم شعروا بالارتياح بقيام سعادة السفير بالتعبير عن غضبه بالخروج عن جلسة المؤتمر.

نسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا، ويوفقنا للصبر والثبات على الدين القويم وللذود عن حياضه، ولنصرة الحق وأهله أينما كانوا.

وصلى الله وسلم على نبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

☆☆☆

من الأرشيف:

من أهداف هذه المجلة

وإننا بهذه المجلة نريد أن نبدأ السير ونفتح آفاقا جديدة للناس، وندلهم على الخظر المحدق بهم ونسهم بهذا العمل في تزويد الناس بما يحتاجون إليه من الثقافة الدينية والبحوث الإسلامية، فإنهم في حاجة ماسة إلى ذلك لكثرة الدعايات المغرضة ضد دينهم من ناحية، ولقلة الجرائد والمجلات التي تتناول هذه الأمور من ناحية أخرى، وكذلك نهدف إلى شرح مناهجنا ووجهة نظرنا نحو القضايا المعاصرة، فإننا أقدر على ذلك من غيرنا، وخاصة في الظروف الحاضرة.

وبعد ذلك كله نريد تصحيح بعض الأخطاء والمزاعم التي نسبت الينا – بالتعمد أو الجهل – وحاول المغرضون النيل من عقيدتنا وإلقاء الستور على الجهود التي بذلها أسلافنا في سبيل نشر الثقافة والعلوم الإسلامية في الهند وغيرها من البلاد التي كانت مسرحا لنشاطهم وأعمالهم مدة من الزمن.

ونحن مؤمنون بأن هذه الخطوة ستكون ناجحة ومثمرة، وتسد فراغا في الصحافة الحاضرة – إن شاء الله عز وجل – ويقوي إيماننا هذا ما نرى في الشباب الإسلامي من الرغبة في الرجوع الى الاسلام من جديد والتمسك بتعاليمه بعد المقارنة بينها وبين توجيهات المذاهب والحركات الأخرى التي ولدت حديثا.

(بقلم: الدكتور مقتدى حسن الأزهري رحمه الله، في أول عدد لمجلة "صوت الجامعة"
شعبان ١٣٨٩ ه = نوفمبر ١٩٦٩، ص: ١٩ – ٢٠)

☆☆☆

عبر ومواعظ:

بابا نويل - والعادات الوافدة

بقلم: د. محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية، الرياض

بعد أيام يحل عيدان عند أهل الكتاب، مع بداية السنة الميلادية، ولا يجوز للمسلم اعتبارهما أو أحدهما عيدا، لأن الله قد أبدل المسلمين عنهما بعيدين في السنة، هما عيدالأضحى وعيد الفطر، ولأن للمسلمين ما يميّزهم عن غيرهم، في كل شيء، وأهم ذلك ما يتعلق بالدين وخاصة العقيدة التي عليها مدار الأعمال، كما في سورة "الكافرون": ﴿لكم دينكم ولي دين﴾.

وقد وجه لفضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين هذا السؤال: ما حكم تهنئة غير المسلمين بعيد "الكريسمس" أو عيد رأس السنة الميلادية، وذلك لأنهم يعملون معنا ؟ وهل يجوز الذهاب إلى أماكن الحفلات التي يقيمونها بدعوة منهم؟ وهل يأثم الإنسان إذا فعل شيئا مما ذكر، ولكنه لم يفعله باعتقاد، وإنما فعله مجاملة أو حياء أو إحراجا، أو غير ذلك من الأسباب ؟ وجزاكم الله خيرا. فأجاب فضيلته بقوله: لا يجوز تهنئة الكفار بعيد الكريسمس ولا غيره من أعيادهم الدينية، لأن ذلك ينبيء عن رضا بهذا العيد، وإقرار به، ولا يجوز رضا المسلم بشعار الكفر، ولا الإقرار بها، لأن ذلك لا يرضى الله عز وجل، قال تعالى: ﴿إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر﴾ وقال جل وعلا: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾، ونقل ابن القيم رحمه الله في أحكام أهل الذمة: الإتفاق على أنه لا يجوز تهنئة الكفار بأعيادهم.

وأما كونهم يهنؤننا بأعيادنا، فإنما يهنؤننا بأمور رضيها الله لعباده، وشرعها لهم، بخلاف تهنئتنا إياهم بأعيادهم، لأن جميع الأديان منسوخة بدين الإسلام، الذي بعث الله به محمدا ﷺ، وإذا هنأونا بأعيادنا، فإننا لا نجيبهم على ذلك، لأنها ليست بأعيادنا، وإذا كان لا يجوز تهنئتهم بأعيادهم فإنه لا يجوز مشاركتهم فيها، والذهاب إلى أماكن احتفالاتهم بها،

ولو بدعوة منهم، ولا تجوز مجاملتهم في هذه الأمور، لأن هذا من المداهنة في الدين، وأسأل الله أن يهديهم لدين الاسلام، وأن يثبتنا عليه، ويرزقنا الاعتزاز به، إنه جواد كريم. كتبه محمد بن صالح العثيمين.

ولاهتمام كل أمة بدينها، ومناسباتهم فيه، لذا نراهم يحرصون على جذب الناس اليه، ومحاولة فرضه بأي صورة كانت، ليرسخ في الأذهان أنه هو الحق، وأن ما سواه لا يجب الالتفات اليه، ويجعلون لذلك قرائن ودلالات، ولكن الحق فيما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ.

ذلك أن الداعين إلى كل نحلة من الديانات المختلفة، على وجه الأرض، يهتمون بتبني أي شيء مؤثر، مما يتوقعونه فعالا في لفت النظر، وجذب الناس لما يعتقدونه، كما يحرصون على التفنن في الأساليب التي يخيل إليهم، انها تربط الآخرين بوشيجة هذه الملة التي يتحمسون لها، وكل منهم يحسب نفسه على الحق، عدا المسلمين الذين بيّن لهم الله ورسوله الطريق المستقيم الذي يجب السير فيه. ا.ه

ومع الحماسة تأتي المدافعة عن الباطل، الذي يتوقعه المتحمس معينا في تحقيق ما يصبو إليه، وملفتا النظر لما يعتقده، فالنصارى مثلا الذين طغى عليهم الجهل، كما جاء في سورة الفاتحة، وفي حديث عدي بن حاتم بعد ما أسلم، وفي تفسير الآية الكريمة: "اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم" فهؤلاء، وجد الأدعياء والكذابون مدخلا إلى نفوسهم، باسم العاطفة الدينية، لرقة قلوبهم، وغلبة الجهل عليهم، ولذا اغتنم كل دعي، وتجرأ كل صاحب هدف، ليضلل الصغار قبل الكبار، لأن الصغير هو الذي تتمكن في ذهنه المعلومات، ويتأثر بكل ما يلقى عليه، ومن هنا كثرت في بيئاتهم، ما يريدون به ربط قلوب الصغار، كمعتقد بابا نويل، مقترنا باسم الخوارق، والاتيان بالمعجزات، وإبرازه مع قرب رأس السنة عندهم.

وهم يرمزون من وراء ذلك، إلى ترسيخ ما يعتقدونه دينيا في عيسى عليه السلام، من أنه الإله أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة، تعالى الله عن ذلك، ويريدون للآخرين اتباعهم في هذا الباطل كما أخبر الله عنهم في آيات في سورة البقرة، وسيرة آل عمران، يريدون ترسيخ معتقدهم مع الصغار، لينمو مع نمو مداركهم وأجسامهم، حتى تثبت المعلومات، فلذا نراهم فيما يقدمون من صور لبابا نويل يجسّمون شكله أمام الصغار كدمية يلعب بها الطفل، وتهدى مع رأس السنة

الميلادية، ووراء ذلك حكايات للصغار، ووعد لهم بما يرتبط مع المناسبة من عقيدة، كإضاءة أغصان الأشجار، التي تسمى عندهم شجرة الميلاد، والحلويات والصور المرتبطة بالمناسبة، وغير هذا من أمور وتمثيليات في وسائل الإعلام، وذلك من أجل تهيئة النفوس لهذا الزائر كشخصية ذات مكانة، لا تأتي إلا مع عيد الميلاد، لتحمل الهدايا، ويأتي منها كل ما وعد به الصغير.

ومعلوم أن الصغار إذا وعدوا بشيء تعلقوا به، وبعد كبرهم يثبت في أذهانهم ما يرتبط بهذا الحدث، وقد اتخذ بعض الجهلة والمقلدين من المسلمين، من هذه الصفة عند النصارى أسطورة مماثلة حول الخضر، ولباسه ومروره على بعض الديار، في أوقات معينة، حتى أن كثيرا ممن ينتظره، حتى يشملهم بدعواته وبركاته، يسهرون الليالي العديدة، ومع التعب وظلام الليل، يخيّل إليهم الشيطان أنه جاء هم في لباس أخضر، وعمّة سوداء، وأن طوله كذا، مع أن جمهور المسلمين متفقون على أن الخضر قد توفي، وأما قبره فموجود في فلسطين في قرية قريبة من بيت لحم.

ومثلما أن بعض المسلمين قد قلدوا النصارى في الحكايات المنسوجة حول الخضر وغيره، فإن النصارى قد أكثروا من الأساطير والحكايات حول بابا نويل، الذي ما إن يحين الموعد المحدد له، حتى يكون السعيد منهم من يرى هذا الموعود، الذي يتخيلون أوصافه شيخا كبيرا، بلحيته الكثة البيضاء التي ترمز للجو البارد، لأنه يأتي متدثرا بملابسه الثقيلة، مبيّضة لحيته وملابسه من آثار تساقط الثلج، كما هو الجوّ في بلادهم، مع السنة الجديدة.

وهم يحرصون بأن يصدروا لبلاد المسلمين لعب أطفال على شكل بابا نويل، وقصصا تحكي ما ينسج حوله من خرافات، حتى يطبعوا في أذهان أبناء المسلمين شيئا من معتقداتهم. ومن هذا المنطلق، فإن الشخصية التي تحاك حولها الأساطير: بابا نويل عند النصارى، والخضر عند بعض المنتمين للإسلام، وبوذا عند البوذيين، وراجا عند الهندوس بل في كل نحلة وملة يوجدون تقليدا مماثلا، حيث يلتف الأطفال حول من يتقمص الشخصية الموهومة، ليلاطفهم ويقص عليهم حكايات خيالية، عن المعتقدات في كل نحلة وملة، يريد صاحبها أن يثبتها. فالنصارى يثبتون بما يحكون من قصص: فكرة المولد، وما يقترن بعقيدة التثليث وعن بنوّة عيسى لله، أو هو الله، تعالى الله عن ذلك، وقد أبان الله

عنهم ذلك، وبما قالوه على الله تقدست أسماؤه وجلت صفاته عن هذه الأمور الشنيعة.

وشخصية بابا نويل، لم تكن واحدة تنتقل، وإنما هي في كل مكان موجودة، حيث يحرص قساوسة الكنائس – الذين هم وراء ذلك – ومثل ذلك في الملل الأخرى، ممن يحاكونهم في التضليل وفي أكل أموال الناس بالباطل، على توسيع الدائرة واختلاق الحكايات والمعجزات. ولعل كثيرا من العادات التي نشأت عند من ينتمون للإسلام اسما، بدون تمعن في العمل المصحوب بالدليل، تولّدت تقليدا لأصحاب تلك الملل نتيجة لضعف الفقه بشرع الله، وقلة الوازع الديني، لوجود خلل في العقيدة.

ولما كان الصليب يتربّع على صدر بابا نويل – سواء كان دمية يلعب بها الصغار، أو رجلا تقمص هذه الشخصية ليتجمع الناس حوله – كجزء من العقيدة، التي يراد ترسيخها فإنه يروى للأطفال بهذه المناسبة بعض الحكايات المتعلقة بما تدعو إليه النصرانية، وتوزّع على الحضور وخاصة النساء والعجائز والأطفال، القصص والكتيبات المزينة بالصورة، مع الحوار المبسط، وقد جاء في الردود عليهم والحوار معهم نماذج في ذلك، كما في منا مع الصلبات وغيره.

ومما يروى في هذه المناسبة: ما ينسب إلى قسطنطين بن هيلانة، قيصر الملك، الذي ترك الوثنية الرومانية، واعتنق النصرانية، فكثر أعداؤه، وكاد ملكه أن يذهب باختلاف رعاياه، وتشتت أنصاره من الروم عليه، فأراد أن يحملهم على شريعة ينظم بها مسلكهم ويؤلف فرقتهم، فاستشار من لديه من أهل النظر، فوقع اختيارهم على أن يتعبد القوم بطلب دم، ليكون ذلك أقوى لارتباطهم معه، وأوكد لجدهم في نصرته، فوجدوا اليهود يزعمون أن في بعض تواريخهم، خبرا عن رجل كان منهم وفيهم، همّ أن ينسخ التوراة وما فيها من أحكام، وينفرد بالتأويل فيها، فعمدوا إليه، وهو في نفر من المطلوب فيهم، فصلبوه، وما عندهم تحقيق بكونه ذلك المطلوب بعينه، إلا فقدهم إياه من حينئذ. وهذه الحيلة قد تفتق عنها حيلة من قسطنطين المذكور، حيث عمد إلى من وجد من أمه عيسى عليه السلام، وقد اختلفت دعاويها بعد المسيح بأربعين سنة، فاستخرج قسطنطين ما تبقى من رسم الشريعة التي بأيديهم، وجمع عليه وزراء ه فأثبت ما شاء، وما رآه موافقا لاختياره كالقول بالمصلوبية ليتعبد قومه بدم، والقول بترك الختان لأنه شأن قومه الرومان، ثم اختلق رؤيا قال: إنها حدثت

له في منامه، فجمع أصحابه وأنصاره على شعار الصليب وذلك بعد المائتين وثلاث وثلاثين سنة من ميلاد المسيح، فقال: بهذا الرسم نغلب، ثم يعرض هيئة الصليب، حيث جعله من ذلك التاريخ شعارا، وعليه قامت الحروب الصليبية ضد المسلمين في ديار الشام.

ودور المسلم يجب أن يركز على نبذ كل تقليد يخالف منهج الاسلام لأن الأمر الصغير يجر لما هو أكبر، والحذر مما يقدم للصغار من لعب ذات دلالة في عقائد الآخرين، حتى لا نجعل أذهان أطفالنا مزرعة لأباطيلهم، وما يريدون جذبنا إليه، لكن نبتعد عن ديننا شيئا فشيئا.

عفة جرير:

جاء في كتاب النقائض بين جرير والفرزدق، أن الفرزدق قدم على عمر بن عبد العزيز وهو على المدينة واليها من قبل الوليد بن عبد الملك، فأنزله عمر منزلا قريبا منه وأكرمه، وأحسن ضيافته، ثم إنه بلغه عنه أنه صاحب فجور، فبعث إليه عمر بألطاف مع جارية له، وقال: اغسلي رأسه والطفيه جهدكِ، وأراد اختياره بذلك ليعلم حاله، فأتته الجارية، وفعلت ما أمرها به مولاها، ثم قالت له: أما تريد أن تغسل رأسك ؟ قال: بلى، فقربت إليه الغسل، ثم ذهبت لتغسل رأسه، فأقبل عليها، وذلك بعين عمر، وهو يتطلع إليه من خوخة له، ولما خرجت الجارية إلى عمر بعث إليه، أن اخرج عن المدينة، ولئن أخذتك فيها – ما دام لي سلطان – لأعاقبنك، ونفاه عمر عن المدينة.

فلما خرج وصار على راحلته قال: قاتل الله ابن المراغة، كأنه كان ينظر إلي حين قال:

وكنت إذا نزلت بدار قوم رحلت بخزية وتركت عارا

ثم قدم جرير على عمر فأنزله منزل الفرزدق، وبعث إليه بتلك الجارية بعينها، وأمرها أن يفعل بجرير ما فعلت بالفرزدق، فألطفته وفعلت به مثل ما فعلت بالفرزدق، وقالت له قم أيها الشيخ، فأغسل رأسك، فقام، وقال لها: تنحّي عني، قالت له الجارية: سبحان الله، إنما بعثني سيدي لأخدمك، فقال: لا حاجة لي في خدمتك، ثم أخرجها من الحجرة، وأغلق الباب عليه واتزر، فغسل رأسه، وعمر ينظر إليه من حيث لا يدري من حين بعث بالجارية إلى أن خرجت من عنده، فلما راح أهل المدينة من منازلهم إلى عمر حدثهم بفعل الفرزدق وجرير وما كان من أمرهما ثم قال: عجبت لقوم يفضلون الفرزدق على جرير مع عفة جرير وقلة ورع الفرزدق. (١:٣٩٧)

☆☆☆

تفنيد المزاعم

سَقَطَاتُ هَشِيمِ المُحتَظَر

(٤)

بقلم: الدكتور عبد العليم عبد العظيم البستوي
مكة المكرمة

التشنيع والتهويل والمبالغة:

وهو أسلوب لجأ إليه غير واحد من الكتاب عند ما ينكرون الأحاديث الواردة في المهدي جملة وتفصيلا دون التفريق بين ما صححه العلماء وأهل الاختصاص وبين ما هو ضعيف أو باطل. ولكن يبدو أن الشيخ عداب قد حاز قصب السبق في هذا الميدان أيضا، فقد أخطأ فادحا حينما أخرج هذا الخليط بين ما ثبت من خلال دراستي لأحاديث المهدي وبين ما بينت ضعفه وبطلانه لتنفير القارئ الكريم والإيحاء إليه بأن القول بهذا الخليط من المستحيلات التي لا يرضاها العقل السليم ويوهم القارئ الكريم بأني أصحح هذا كله، ولو أنه التزم بالأمانة العلمية في ذكر ما كنت سردت بإيجاز في ما ثبت من أحاديث المهدي فإنه لا يجد فرصة لهذا التشنيع والتهويل والمبالغة التي لجأ إليها في تصوير مسألة المهدي.

ومن أمثلة التهويل:

تكراره الزعم أن خلافة المهدي تستمر خمس سنين أو سبع سنين أو تسع سنين ثم لا خير في العيش بعده.

يقرر الشيخ عداب في (ص ٢٥٥ من كتابه): " أن الظلم والجور الذي نشكو منه كان موجودا ومتوازيا مع العدل والرحمة والإنصاف منذ انتهت الخلافة الراشدة (٤٠ هـ) وإلى هذا اليوم بنسب متفاوتة".

ثم يقول (في ص ٢٥٦): "فهل صبر أربعة عشر قرنا، وترقبها الأمة هذه الأزمان المتطاولة للمهدي المنتظر يتكافأ مع (خمس سنين أو سبع سنين أو تسع سنين يملأ فيها

الأرض قسطا وعدلا. ثم لا خير في العيش بعده، كما تفيده بعض الروايات الواردة".

ويضيف الشيخ قائلا: فقضية المهدي ليست قضية تحقق مبدأ وتوضع منهاجا وإنما هي فلتة من فلتات الزمان تشبه فلتة حكم عمر بن عبد العزيز رحمه الله لكن حكم عمر سنتان وحكم محمد المهدي أكثر قليلا. (١)

فحكم عمر بن عبد العزيز كان حكم عدل ورحمة وانتعاش للمعذبين المضطهدين من آل النبي ﷺ وشيعتهم وسائر المسلمين لكنه لم يوطد دعائم حكومة تحميه وتحققه وتدعمه إلى أمد واسع في امتداد الزمان، فما أن مات عمر بن عبد العزيز – رحمه الله تعالى – حتى عاد كل شيء إلى ما كان عليه وبنسب متفاوتة فكان ماذا ؟ (٢) (ص ٢٥٦)

---

(١) ونتساء ل هنا: هل الشيخ عداب يؤمن بخلافة المهدي على شرط أن تعد "فلتة من فلتات الزمان" وكيف يصدق الشيخ بهذا ولم يثبت عنده أي حديث من أحاديث المهدي ؟ أليست هذه "مزاجية" من الشيخ.

(٢) هكذا يتفوه الشيخ عداب بكل صفاقة: "فكان ماذا؟" أي إن الأمة لم تستفد من خلافة عمر بن عبد العزيز شيئا، لأن الأمور عادت كما كانت بعد انتهائها.

وينسى الشيخ عداب أن الله سبحانه وتعالى أرسل جما غفيرا من الأنبياء والرسل، ولكن بعد موت كل نبي بفترة يعود الشرك والكفر من جديد حتى يرسل الله تعالى نبيا آخر، فهل يقول الشيخ عداب هنا أيضا: "فكان ماذا؟" وليس هذا مجرد افتراض مني ولكن الشيخ صرح بذلك بنفسه في (ص ٢١١) من كتابه هذا، فقال: " ومن يستقرىء سير أنبياء الله تعالى يجد آدم وإدريس ونوحا وإبراهيم وموسى عيسى جميعهم لم يتمكنوا من إقامة العدل كله ونشر سلطانه على الأرض التي كان لهم بها وجود وارتباط"، فهل يقول الشيخ هنا أيضا كما قال في عمر بن عبد العزيز: "انهم لم يوطدوا دعائم حكومة تحميه وتحققه وتدعمه إلى أمد واسع في امتداد الزمان، فكان ماذا ؟ "

وهذا سيد الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ بلغ الرسالة وأدى الأمانة وأرسى قواعد العدل والرحمة والشورى وقامت بعده الخلافة الراشدة ولم تدم سوى ثلاثين عاما ثم بدأ الظلم والجور ينتشر من جديد كما قرر الشيخ عداب نفسه في ص ٢٥٥ إذ قال: "وإن الظلم والجور الذي نشكو منه كان موجودا ومتوازيا مع العدل والرحمة والإنصاف منذ انتهت الخلافة الراشدة (٤٠هـ) وإلى هذا اليوم بنسب متفاوتة" (ص ٢٥٥) فهل هنا أيضايقول الشيخ عداب – والعياذ بالله – إن الدعوة المحمدية " لم توطد دعائم حكومة تحميه وتحققه وتدعمه إلى أمد واسع في امتداد الزمان فكان ماذا ؟ " نعوذ بالله من الخذلان.

وماذا تساوي أربعون سنة في عمر الزمن الذي يبكي عليه الشيخ والذي يمتد أربعة عشر قرنا، بل قد صرح الشيخ بذلك إذ قال: " وليت شعري أ ينتظر المسلمون ألف سنة وربما ألفين ليتحقق لهم هذا العدل سبع سنين أو تسع سنين ثم ماذا ؟ ثم لا خير في العيش بعده، إن أمة تنتظر من عمرها في الحياة كلها سبع سنين أو حتى سبعين سنة من العدل والرحمة لا تكون أمة عالمة بدينها وبالسنن الإلهية التي تقوم الدول والحضارات أو تنتهي على وفقها". (ص ٢١٥) =

وذكر كلاما في هذا يعني في كتابه (ص ٥٢٤ – ٥٢٥) ثم عاد في (ص ٥٣٣) فقال بصراحة: " وإنني أعتقد (١) أن الذي عاش ستين سنة من عمره في الفقر والمرض والحرمان

= فقد صرح الشيخ أن الأمة التي تنتظر سبعين سنة من العدل والرحمة في عمرها لا تكون أمة عالمةبدينها ولا بالسنن الكونية فماذا يقول فضيلته في أمة رضيت بثلاثين سنة فقط من الخلافة الراشدة وتفتخر بها وتتخذها قدوة لغيرها، هل هي أمة لم تعرف دينها ولا السنن الإلهية التي تقوم عليها الدول والحضارات ؟ أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين.

والواقع أن الشيخ على الرغم من شنشنته الطويلة حول السنن الكونية في أكثر من موضع من كتابه وإنكار خلافة المهدي بحجة أنها تخالف السنن الكونية فإنه يجهل أو يتجاهل حقيقة كبرى من السنن الكونية وهي "الصراع بين الخير والشر" وهذا الصراع وجد منذ أن خلق الله آدم ونفخ فيه الروح ومنذ ذلك الحين تحدى إبليس آدم وذريته وهذا شيء مذكور في الآيات القرآنية في أكثر من موضع ومن هذا المنطلق فإن الله سبحانه وتعالى أرسل رسله تترى لهداية البشرية ودعوتهم إلى توحيد الله سبحانه وتعالى وترك الشرك والكفر، فكلما كثر الشر في منطقه ما من العالم أرسل الله إليهم رسولا فيحيي الخير ويدعو إليه، ويستمر هذا الخير فترة من الزمن ثم يبدأ الشر ينتشر وهكذا استمرت دعوات الخير ونزغات الشر حتى أرسل الله خاتم الأنبياء والمرسلين برسالة عامة فأدى الأمانة وبلغ الرسالة، وانتشر الإسلام في رقعة كبيرة من العالم ثم انتقل إلى الرفيق الأعلى، وأصبحت في مسؤولية الأمة الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة شرع الله في أرضه، وفي نطاق هذا الصراع المستمر بين الخير والشر ستواجه الأمة في يوم من الأيام الفتنة العظيمة التي حذر منها الأنبياء أممهم وهي " فتنة الدجال" الذي لا يدع قرية إلا هبطها غير مكة وطيبة كما في حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها في صحيح مسلم (حديث ٢٩٤٢) فتقاومه طائفة من المسلمين وينزل عيسى بن مريم عليهما السلام فيقتل الدجال ويدعو البشرية كلها إلى الإسلام حتى لا يبقى في الأرض دين غير دين الإسلام كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند أبي داود (حديث: ٤٣٢٤) وفيه "فيهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام"، ثم إن هذا الخير أيضا ينتهى بعد فترة، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس" (صحيح مسلم: ٢٩٤٩) " ولا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله" (صحيح مسلم: ١٤٨) فلو أن الشيخ عداب يشترط أن لا يعترف بأي خير ما لم يكن دائما وممتدا امتداد الزمان، فلعله يضطر إلى إنكار كثير من المسلمات في تاريخ الأديان والرسالات، وماذا عسى أن يقول الشيخ في الأنبياء الذين وصفهم النبي ﷺ في قوله: عرضت علي الأمم فأخذ النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده. (صحيح البخارى حديث: ٦٥٤١) وفي صحيح مسلم: فرأيت النبي ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد. (حديث: ٢٢٠) لا أدري ماذا يقول الشيخ عداب في حق هؤلاء وهم أفضل من المهدي ؟ وهل يدعو إلى عدم الاعتراف بهم أيضا لأنهم لم يتمكنوا من "توطيد دعائم دولة تمتد إلى أمد واسع في امتداد الزمان"؟ نسأل الله العافية.

(١) يشترط الشيخ للاعتقاد أن يكون مبنيا على علم اليقين فلا أدري من أين اكتسب الشيخ هنا هذا اليقين، ثم إن قول الشيخ " لن يفرحه كثيرا " اعتراف منه بأنه يفرحه ولو قليلا.

لن يفرحه كثيرا أن يغنى خمس سنوات أو يصح جسمه سبع سنوات، أو تتوفر حاجياته تسع سنوات، ثم يعود شقاؤه وشقاء ذريته من جديد". (ص ٥٣٣)

ولي على هذه التصريحات من الشيخ عداب ملاحظات.

أولا: أرى أن هذه التصريحات صادرة من جهل عميق بالنفس البشرية. فالنفس البشرية تتوق إلى الخير دائما بغض النظر عن مدة استمرار هذا الخير أو دوام هذه النعمة، كما قال الله تعالى: "وإنه لحب الخير لشديد" (العاديات: ٨) وقال: "ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور" (هود: ١٠) وقال: "وإذا أذقناالناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون" (الروم: ٣٦) وغيرها من الآيات، ولم يرد في أي آية أن إنسانا ما رفض الخير أو النعمة إذا لم يكن ممتدا في التاريخ امتداد الزمان – في زعمه –.

بل إن أهل النار الذين يعرفون أنهم كتب لهم الخلود في النار فلا موت ولا خروج ومع ذلك يتمنون تخفيفه ولو يوما واحدا، "وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب" (غافر: ٤٩).

وأن الإنسان المريض يتمنى من الله الشفاء، ولو كان في آخر يوم من حياته، والجائع المحروم لو وجد ملء بطنه من النعيم فسوف لن يتردد لحظة في أن يقضي نهمه منه حتى ولو كان في آخر ساعة من حياته وقبل سكرات الموت. وهذا شيء يعرفه العقلاء من البشر أو الذين عانوا من المرض والحرمان أو شاهدوا ذلك على غيرهم، أسأل الله للجميع دوام الصحة والعافية.

ثانيا: إن قوله "خمس سنوات" وكذلك قوله " ثم لا خير في العيش بعده" لم يردا في أي حديث أو أثر صحيح. وإنما وردا في حديثين ضعيفين ذكرتهما في كتابي "الموسوعة في أحاديث المهدي الضعيفة والموضوعة" برقم (٦٤ و٦٥). ولكن الشيخ دائما يلجأ إلى الخلط بين الصحيح والضعيف من أجل التشنيع والتنفير، وهذا ليس من شيمة أهل العلم الذين يريدون معرفة الحقيقة وإيصالها إلى غيرهم، نعم لقد ورد في حديث أبي سعيد الخدري عند

الحاكم "يعيش سبعا أو ثمانيا يعنى حججا" (انظر الحديث رقم ٣٠، من كتابي ص ١٦٣)، وفي حديث أبي سعيد نفسه عند أحمد وابن أبي شيبة. إن طال عمره أو قصر عاش سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين (انظر حديث ٥ من كتابي، ص ٢٢٧)، ولكن ورد ذلك عند أبي داود "يملك سبع سنين" بالجزم (انظر حديث ٤ من كتابي ص ١٦٦) وحمل الشك على اليقين أسلوب معروف لدى أهل العلم.

ثالثا: إن هذا الكلام يدل على جهل شديد بالسنة النبوية، فالخير لا ينتهي من الأمة بمجرد انتهاء خلافة المهدي، لأن الذي يتولى أمر الأمة بعد المهدي هو المسيح عيسى عليه السلام، وأن الخير والنعمة يعمان في عصر المسيح أكثر مما كان في عصر المهدي كما هو مذكور بالتفصيل في الكتب الخاصة بهذا الموضوع، فلا أطيل البحث فيه وإنما أكتفي بذكر بعض الأحاديث.

لقد أخرج الإمام مسلم وغيره من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه حديثا طويلا في الدجال وذكر فيه نزول عيسى بن مريم عليه السلام وقتله الدجال، ثم خروج ياجوج وماجوج وهلاكهم، ثم قال:

" ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، (أن بقشرها كشدة كبرها) ويبارك في الرسل (أي الحليب) حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس. واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس. (١)

ويمكث عيسى ابن مريم في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون كما جاء في حديث أبي هريرة عند أبي داود وغيره. (٢)

وفي هذا الحديث نفسه "فيهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام"، زاد أحمد وابن

(١) صحيح مسلم ٤ / ٢٢٥٠، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، حديث: ٢٩٣٧.

(٢) سنن أبي داود ٤/١١٨، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، حديث ٤٣٢٤، بإسناد صحيح على شرط مسلم (فتح الباري ٦/٢٨٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥/٢١٤، حديث: ٢١٨٢.

حبان: "ثم تقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون. (١)

وعند ابن حبان من رواية عائشة رضي الله عنها أيضا " ثم يلبث عيسى في الأرض أربعين سنة أو قريبا من أربعين سنة إماما عدلا وحكما مقسطا" (٢) وكذا في رواية أحمد: "ثم يمكث عيسى عليه السلام في الأرض أربعين سنة إماما عدلا وحكما مقسطا". (٣)

فهذه الأحاديث وغيرها تبين بكل وضوح أن الخير الذي يعم في زمن المهدي لا ينقطع في سبع سنين أو تسع سنين، بل سيعهم ويزداد بعده في زمن عيسى عليه السلام، ولكن الشيخ عداب يجهل هذا كله أو على الأقل يخفي ذلك عن قرائه من أجل التهويل والتشنيع، ولكن هذا الأسلوب لا يرضاه العدول من أهل العلم، فإن الأمر دين.

ولكن هذا الخير أيضا سينتهي بعد مدة – كما هي سنة الله في أرضه – ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس. (٤) ولا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله. (٥)

فان كان الشيخ عداب يشترط أنه لا يؤمن بأي خير ما لم يكن دائما وممتدا امتداد الزمان، فلعله يضطر إلى إنكار كثير من ضروريات الدين والرسالات، نسأل الله العافية.

رابعا: لقد دندن الشيخ عداب كثيرا حول مدة خلافة المهدي، وتساء ل كثيرا، ماذا تستفيد البشرية من قسط وعدل لا يدوم إلا سبع سنوات أو ثماني سنوات أو تسع سنوات، وهذا يدل –كما سبق – على جهل الشيخ بسنة الله الكونية في الصراع بين الخير والشر، وجهله

---

(١) مسند أحمد ١٥ / ١٥٤، حديث: ٩٢٦٩، وابن حبان ١٥ / ٢٣٣، كتاب التاريخ، ذكر البيان بأن عيسى بن مريم إذا نزل يقاتل الناس على الإسلام، حديث: ٦٨٢١.

(٢) صحيح ابن حبان، الموضع المذكور آنفا، حديث: ٦٨٢٢.

(٣) مسند أحمد ٤١ / ١٥، حديث: ٢٤٤٦٧.

وأما ما وقع في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن عيسى يمكث في الأرض سبع سنين، ففي اسناده يعقوب بن عاصم بن عروة، قال فيه ابن حجر: مقبول، أي حيث توبع، ولكنه لم يتابع في هذا، ومن تعليقات الشيخ شعيب الأرناؤوط على مسند أحمد ١٥ / ١٥٥.

(٤) صحيح مسلم ٤ / ٢٢٦٨، الفتن، باب قرب الساعة، حديث: ٢٩٤.

(٥) صحيح مسلم أيضا ١ / ١٣١، الإيمان – باب ذهاب الإيمان آخر الزمان، حديث (١٤٨)

بالسنة النبوية والأحاديث التي بشرت بامتداد هذا الخير إلى عقود من الزمان. وبالإضافة إلى كل ذلك يدل على جهل الشيخ بالواقع المعاصر أيضا. ولو رأى الشيخ العالم من حوله لعلم أن أكثر دول العالم في الوقت الحاضر تحدد مدة الرئاسة لرؤسائها في خمس سنوات أو أربع سنوات أو نحو ذلك، وأن مدة رئاسة أكبر دولة في العالم محددة بأربع سنوات، فإذا أعيد انتخابه لفترة ثانية فيبقى أربع سنوات أخرى فقط، ولا يمكن انتخابه لفترة ثالثة حسب أنظمة ذلك البلد، ومع ذلك يهتم مئات الملايين من سكان تلك الدولة بالانتخابات الرئاسية ويسعى كل واحد لإنجاح المرشح المفضل عنده لما يتوقع منه من مصلحته ومصلحة بلاده وشعبه. ولا يقول أحد منهم: لماذا نهتم لانتخابات رئاسة لا تدوم سوى أربع سنوات. وإن مدة أربع سنوات ستنتهى سواء بعدل أو جور، فما الداعي للاهتمام به والخوض فيه، فهذا منطق الشيخ عداب وحده !! ومن كان على شاكلته من الفهم والذكاء وبعد النظر !!

وإذا كان هذا حال معظم دول العالم في واقعنا المعاصر فما الضرر من أن يتولى المهدي قيادة الأمة سبع سنوات أو ثماني سنوات أو تسع سنوات، ثم يتنازل عنها لمن هو أفضل منه وأصلح للبشرية، وهو عيسى بن مريم عليه السلام.

خامسا: لقد تحدث الشيخ عداب الحمش طويلا حول قضية "انتظار المهدي" واعتبر ذلك مخالفا لسنن الله التي تقوم عليها الدول والحضارات (ص ٢١٥ من كتابه) وأن ذلك يضعف همة رجال الأمة ويجعلهم يستكينون تحت مقارع الظلم والعسف والجور آلاف السنين الخ (ص ٥٣٢).

والشيخ عداب قد صرح في أكثر من موضع بأنه لما كان يؤلف الأبحاث التي بنى عليها هذا الخليط من كتابه كان يعيش في بيئة يكثر فيها زعماء بعض الطوائف التي تعتبر الانتظار جزءا من الايمان، وكان الشيخ على صلة وثيقة بهم، وكانت تغمره أياديهم " البيضاء "، فيبدو أنه قد تشرب أفكار تلك الطائفة، ولا يفهم من كلمة " الانتظار " أو " المنتظر " إلا ما تعنيه تلك الطائفة، وذلك أن من ديانة تلك الطائفة ترك كل عمل من الأعمال الشرعية الجماعية حتى الجمعة والجماعة، والزكاة والجهاد وغير ذلك حتى خروج الغائب المزعوم، لأن هذه الأعمال لا تصح إلا في حالة وجود الإمام، ولذلك ينتظر عوامهم خروج ذلك الإمام بلهفة شديدة ويدعون الله لتعجيل خروجه.

أما منظروهم وزعماؤهم الدينيون فلابد أنهم يعرفون أن غائبهم لن يخرج أبدا، لأنه لم

يكن له وجود أصلا. وأما فلسفة الاختفاء والانتظار فقد وضعت للحفاظ على عقيدتهم التي سوف تنهار وتسقط من أساسها إذا ظهر ذلك المختفي، كما سبق. فمن الضروري جدا لإلهاء العامة أن يظل غائبهم غائبا حتى قيام الساعة. ثم لن يبقى من ينتظره ولن يبقى من يطالبهم بصحة هذه العقيدة التي لا أساس لها من الصحة مطلقا. فانتظار المهدي بالمعنى الذي يتصوره الشيخ عداب الحمش هي قضية خاصة للطائفة المذكورة ومن كان على شاكلتها ممن سبقها.

والشيخ عداب لو ألقى نظرة فاحصة في الأحاديث الثابتة في هذا الموضوع كما بيئتها في كتابي لعلم أنه لم يرد في أي حديث ثابت الأمر بانتظار المهدي. فكل الأحاديث الثابتة الواردة في الموضوع إنما هو من باب الإخبار بالمغيبات التي ستظهر في آخر الزمان. والرسول ﷺ قد أخبر بكثير من الأشياء التي كانت في الماضي أو ستظهر في المستقبل في هذه الدنيا أو بعدها، وهذه الأمور ستقع حتما كما أخبر بها الصادق المصدوق ﷺ ، ولم نؤمر بانتظار شيء منها لا وجوبا ولا استحبابا.

وإنما يجوز إطلاق " الانتظار " أو " المنتظر " على تلك الأشياء أو بعضها، ومنها "المهدي" من باب أنه سيتحقق وقوعها في المستقبل. ومن هذا القبيل ما جاء في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه أن رسول الله ﷺ قال: " فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة " قال: كيف إضاعتها ؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة. (البخاري، كتاب العلم، حديث: ٥٩)، وما جاء في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وذكر فيه النبي ﷺ بعض الفتن، ومنها "فتنة الدهيماء" ثم فسرها إلى أن قال: "فإذا كان ذاكم فانتظروا الدجال من يومه أوغده." (سنن أبي داود، كتاب الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها حديث ٤٢٤٢ وإسناده صحيح)

وكما ورد في حديث الترمذي: " بادروا بالأعمال سبعا إلى أن قال: " أو الدجال فشر غائب ينتظر " (٤/١٤١، طبعة بشار عواد، الزهد، باب ما جاء في المبادرة بالعمل، حديث ٢٣٠٦، وفي إسناده ضعف)

أما انتظار الغائب المزعوم واعتبار ذلك تدينا وقربة، وتعطيل بعض الفرائض انتظارا لخروجه فلا علاقة لنا به، ولا أظن أن هذا يخفى على الشيخ عداب الحمش، سامحه الله. (يتبع)

☆☆☆

تصحيح المفاهيم

ادعاء السرقات العلمية بين المؤلفين

الشيخ علي حسن علي عبد الحميد
الحلبي الأثري

كاتب هذا المقال هو الأديب الأريب المحقق الشهير الشيخ علي حسن علي عبد الحميد الحلبي الأثري، قد كتبه كمقدمة لتحقيق كتاب: "الفارق بين المصنف والسارق" للحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى. ونظرا لاشتماله على معلومات قيمة ممتعة ودقيقة أردنا أن نتحف به قراء المجلة، وحتى يتضح موضوع كتاب السيوطي وسبب تأليفه وسبب إعداد هذه المقدمة الضافية ننقل بعض عبارات التقديم التي تزين بها هذا الكتاب، وهي موجودة قبل المقدمة:

قال الشيخ الحلبي:

" ومعالجة المصنف (أي الإمام السيوطي) لهذه القضية الجليلة جاء ت على صورة شخصية، ظهرت ملامحها وأماراتها تبعا لما وقع به هو من قبل بعض أقرانه، إذ أخذوا له كتبا أربعة، ونسبوها لأنفسهم ! فألف رسالته كشفا لهم وتحذيرا منهم".

وقال بعد فقرتين:

" لذا رأيت من الواجب عليّ – حرصا على جلاء الغبش، وتوضيح الحقائق – أن أقوم بنشر هذه الرسالة نشرة علمية مذيلة بتعليقات مفيدة نافعة – إن شاء الله – مقدما لها بمقدمة ضافية، تؤرخ للقضية التي عنون المصنف رسالته بفحواها ومضمونها، وتنبه على الأسباب الأساسية لهذه المسألة الشائكة، ربطا بين الماضي والحاضر، وتذكيرا بالمآثر وسير الأكابر، عسى أن ينفع الله سبحانه بها طَلّابي الحق، ودافعي الريب، ويردع بها الملتمسين للبرآء العيب، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير". (المقدمة، ص: ٧–٩)

يُعد النظر في القضايا المطروحة، وتأملها، ودراستها دراسة أصيلة، أمرا مهما، لكي يكون العمل العلمي شِبه متكامل، معلومة صورته، واضحة معالمه.

والمسألة التي أثارها المصنف – رحمه الله تعالى – مسألة مهمة في تاريخ العلم والتصنيف، ينبغي أن تُدرس الدراسة الجادة المتأنية اللائقة بهذه القضية الجليلة، التي أصاب غُبارُها كثيرا من العلماء، على مرّ الأعصار، وفي مختلف الأمصار، يتكلم بعضهم في بعض، ويغمز بعضهم بعضا !!

ولمعرفة أصولها وأسبابها أقول:

عقد الإمام الحافظ ابن عبد البر في كتابه "جامع بيان العلم وفضله" (٢ / ١٨٤ – ٢٠٠) فصلا ماتعا بعنوان: "باب حكم قول العلماء بعضهم في بعض"، روى في صدره ما ورد (١) عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال:

" استمعوا علم العلماء، ولا تصدقوا بعضهم على بعض، فوالذي نفسي بيده لهم أشد تغايرا من التيوس في زروبها " (٢) !!

ثم روى عن الإمام الثقة العابد سلمة بن دينار أنه قال:

" العلماء كانوا فيما مضى من الزمان إذا لقي العالم من هو فوقه في العلم، كان ذلك يوم غنيمة، وإذا لقي من هو مثله، ذاكره، وإذا لقي مَن هو دونه، لم يزه (٣) عليه، حتى كان هذا الزمان (٤)...... فصار الرجل يعيب مَن هو فوقه ابتغاء أن ينقطع منه، حتى يرى الناس أنه ليس به حاجة إليه، ولا يذاكر مَن هو مثله، ويزهى على مَن هو دونه ...... فهَلَك الناس ".

ثم عقّب ابن عبد البر بقوله:

" هذا باب قد غلط فيه كثير من الناس، وضلّت به نابتة جاهلة، لا تدري ما عليها في ذلك.

---

(١) وفي سنده ضعف، لكنه أشار إلى طرق أخرى له، لعلها تقويه.

(٢) أن من حيث الشدة في الكلام، الناتجة عن التنافس، وما يجري بين الأقران مما سيأتي الإشارة إلى بعضه.

(٣) الزهو: هو الفخر والتعاظم.

(٤) فكيف في زماننا هذا ؟!

والصحيح في هذا الباب أن مَن صحّت عدالته، وثبتت في العلم أمانته، وبانت ثقته وعنايته بالعلم، لم يلتفت فيه إلى قول أحد، إلا أن يأتي في جرحته ببينة عادلة تصح بها جرحته على طريق الشهادات ...... ".

ثم قال:

" ...... والدليل على أنه لا يقبل فيمن اتخذه جمهور من جماهير المسلمين إماما في الدين قول أحد من الطاعنين: أن السلف – رضوان الله عليهم – قد سبق من بعضهم في بعض كلام كثير في حال الغضب، ومنه ما حمل عليه الحسد، كما قال ابن عباس، ومالك بن دينار، وأبو حازم، ومنه على جهة التأويل، مما لا يلزم القول فيه ما قاله القائل فيه".

ثم ساق بأسانيده أخبارا في ذلك فظيعة، وآثارا مروية شنيعة ! وقال:

" وقد كان بين أصحاب رسول الله ﷺ وجلة العلماء عند الغضب كلام هو أكثر من هذا، ولكن أهل الفهم والعلم والميز لا يلتفتون إلى ذلك، لأنهم بشر، يغضبون ويرضون، والقول في الرضا غير القول في الغضب (١)، ولقد أحسن القائل:

لا يُعرف الحلم إلا ساعة الغضب

وقال:

" ...... فمن أراد أن يقبل قول العلماء الثقات الأئمة الأثبات بعضهم في بعض، فليقبل قول مَن ذكرنا قوله من الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين – بعضهم في بعض، فإن فعل ذلك، ضل ضلالا بعيدا، وخسر خسرانا مبينا ...... فإن لم يفعل – ولن يفعل إن هداه الله وألهمه رشده –، فليقف عند ما شرطنا في أن لا يقبل فيمن صحت عدالته، وعُلمت بالعلم عنايته، وسلم من الكبائر، ولزم المروءة والتعاون، وكان خيره غالبا، وشره أقل عمله، فهذا لا يقبل فيه قول قائل لا بُرهان له به، فهذا هو الحق الذي لا يصح غيره إن شاء الله".

قال أبو حارث – عفا الله عنه – :

(١) وهذا بخلاف الأصل، فقد عد النبي ﷺ "العدل في الغضب والرضا" من المنجيات، كما صح عنه. انظر الحديث تاما مع تخريجه في "أربعي الدعوة والدعاة" (رقم ٢٣) بقلمي.

وهذا – والله – كلام أبناء الأنبياء.

وليس بخفي على مَن درى من العلوم نبذا أن هذا الباب الذي أشار إليه ابن عبد البر – رحمه الله تعالى – قد فتح – على المسلمين عامة، وطلبة العلم خاصة – أبواب شر كثيرة، جعلتهم في الباطل يسترسلون، وفي الغيبة يقعون، وعن الحق يعرضون، إلا من رحمه ربك فوفقه لمعرفة الأمور بحقائقها، والدعاوي بدلائلها.

ومن أبواب الشر هذه باب لم يخل أبناء عصر من العصور من ولوجه والإطالة فيه، ألا وهو باب ادعاء السرقات العلمية بين المؤلفين والمصنفين !! وهوما أفرد له مصنفنا رسالته هذه، تنبيها، لا دراسة.

وحتى تتضح الصورة، وينجلي الموقف، أقول:

أقدم ما وقفنا عليه من هذه الادعاء ات – فيما نحسب – ما أورده ياقوت الحموي في "معجم الأدباء" (٦/٤٧٤):

" قال المرزباني: وكان محمد بن حبيب يغير على كتب الناس، فيدّعيها، ويسقط أسماء هم ...... ".

ومحمد بن حبيب متوفى سنة (٢٤٥ هـ) !!

فانظر – رحمك الله – إلى التنافس ماذا يصنع بأهله !!

ولقد علّق الدكتور النابه محمد حميد الله فيما ختم به كتاب " المحبَّر " لابن حبيب (ص ٥٠٩) على هذا الإيراد بقوله:

" وهذا كله من منافرة المعاصرين، ولا شك في أن ابن حبيب من أعاظم علماء العرب "!

فتأمل !

وهكذا ...... تمتد دائرة الادعاء ات عصرا بعد عصر.

فمِن ذلك أيضا:

ما اتّهم به الإمام الحافظ أبو بكر بن محمد بن الأنباري المتوفى سنة (٣٢٨ هـ) من أنه سرق كتاب "الزاهر" المنسوب إليه من كتاب "الفاخر"، تأليف المفضل بن سلمة المتوفى

سنة (٢٩١ هـ)!

ومنه أيضا:

ما ادعاه لسان الدين ابن الخطيب المتوفى سنة (٧٧٩ هـ) على عَصريّه خالد بن عيسى البلوى المتوفى بعد (٧٦٧ هـ) من أنه سرق رحلته المسماة "تاج المفرق في تحلية علماء المشرق" من " البرق الشامي " الذي ألفه العماد الأصفهاني المتوفى سنة (٥٩٧ هـ) (١) ...

ولم يلتفت أحد من العقلاء فضلا عن العلماء إلى هذه الدعاوي وتلك الادعاءات ......

وهكذا ...... إلى عصر الإمام السيوطي – رحمه الله تعالى – مصنف الرسالة التي نحن في صدد دراستها والتقديم لها ......

فالسخاوي في "الضوء اللامع" (٣٥٨/١ – ٣٥٩) يتهم الإمام المقريزي بأنه سرق "خطط مصر" تأليفه، من "خُطط" ألفها الأوحدي المتوفى سنة (٨١١ هـ) !!

واتهم السخاوي – أيضا – في " الضوء " (٢٣٦/٣) الشيخ زكريا الأنصاري بالسرقة في التأليف أيضا !!

ولم يسلم من هذه التهم والدعاوي السخاوي نفسه، فقد قال الإمام السيوطي في "الكاوي على تاريخ السخاوي" (٩٤٨/٢ – ٩٤٩ / شرح مقاماته) فيه:

" ويُغير (٢)، وينسب الناس إلى الإغارات، لقد رأيت له تأليفا في قلم الأظفار، فإذا هو أخذ كلام "فتح الباري" بفصه (٣)، وساقه بحروفه ونصه، وغالب ما ألفه في فن الحديث والأثر، مسودات ظفر بها في تركة الحافظ ابن حجر ...... ".

وكذا السيوطي اتهم أيضا من البقاعي والسخاوي وغيرهما !

وقبل أقل من مائة عام خلت قام بعض معاصري علامة الهند الإمام صديق حسن خان برميه بهذه الصفة المستشنعة نفسها (٤).

---

(١) انظر مقدمة الأخ الصديق الفاضل الدكتور سمير الدروبي لـ "شرح مقامات السيوطي" (٥٣/١).

(٢) أي: يسرق المؤلفات !　　(٣) بتمامه .

(٤) وقد ذببت عنه هذه التهمة في مقدمتي لكتابه النافع "الحطة ......" (ص ١٧)، فلينظر.

وما لنا نبعد كثيرا:

فها هو الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري في كتابه الذي فارق مسماه فحواه "سبيل التوفيق ......" (ص ٤٩) يتهم محدث عصرنا أستاذنا الشيخ العلامة أبا عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني – نفع الله بعلومه – بنحو هذا الوصف المستبشع نفسه !!

وهو افتراء بلا امتراء.

إذا:

فهذه المسألة التي أثارها مؤلفنا – رحمه الله – وأفردها بالتصنيف، مسألة قديمة الجذور، مهمة، لا تسلم من المنازعة !! ولا تترفع عن المراجعة !!

فكم ادعى – كما سبق – أحد على أحد أنه سرق وما ألف، وسلب وما صنف، وأغار وخرشف (١)، وبهرج وزخرف، وشتم وعنّف !!

ولا يكون – في الحقيقة والواقع – لأي من هذه الدعاوي أصل – في غالب الأحيان – سوى بعض الظنون الفاسدة، أو الآراء الكاسدة !

والمتأمل يرى أن هذه الكلمات كلها صادرة من أقران ومتعاصرين، دفعتهم دوافع، وأثارتهم كوامن !!

" وهكذا، كثير من كلام الأقران بعضهم في بعض ينبغي أن يُطوى ولا يروى، ويُطرح، ولا يُجعل طعنا، ويُعامل الرجل بالعدل والقسط ". (٢)

والناظر لأسباب هذه المسألة يرى أنها نتجت من عدة أمور:

أولها: الحسد، وهو داء عضال، إذا داخل القلوب، أفسدها، وإذا مازج العقول، أغلقها!

ثانيها: الظن، وهو مرض فتاك، إذا تسرب إلى قلب المؤمن، جعله أسود، قاتما، شكاكا، ولآجا في الباطل وسبله.

---

(١) الخرشفة: اختلاط الكلام! "قاموس" (ص ١٠٣٧).

(٢) "الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد" (ص ٤، بتعليقي) للذهبي.

ثالثها: عدم التثبت (١)، وهو سوأة مذمومة، وخلة غير حميدة، نبه علماؤنا – قديما – على خطلها، وبيّنوا بطلانها وحرمتها.

رابعها: الجهل، فقد يجهل حتى مَن كان عالما، إذ النقص ملازم لبني الإنسان، لا يكاد يفارقه.

ورحم الله من قال:

إذا ما قال حَبر قـول حق وبعض معاصريه صد عنه
فإما أن يكون له حسودا يُعـاديـه على مـا كان منـه
وإما أن يكون به جهـولا وصَدُّ الغُمْرِ عنــه لم يُشِنْــهُ (٢)

وكما قال بعض أفاضل عصرنا:

" أبت المعاصرة إلا أن تكون حرمانا " (٣).

والعلم – كما قيل قديما – أمانة، وأي خيانة لهذه الأمانة أعظم من سرقة هذه الأمانة ...... وفي الوقت نفسه: مِن أعظم الخيانة اتهام البرآء من أهل العلم وطلبته بما ليس من شيمهم وطرائقهم.

(يتبع)

☆☆☆

(١) ولي رسالة "التثبت وأثره في استقرار المجتمع الإسلامي"، ولا تزال مخطوطة.
(٢) "حبل الشرع المتين" (ص ٣٩٩) للمعصومي.
(٣) "حياة الألباني" (١/ ٦٠)، للأخ الشيخ محمد بن إبراهيم الشيباني.

تفنيد المزاعم

صورتان متضادتان لعقيدة الإسلام ورسالته

(ردا على ما كتبه كريغ وين بعنوان: محمد رسول الهلاک)

الدكتور / صلاح الدين الندوي، الأزهري

ملخص:

إن هذا العصر عصر العولمة، الذى بدأ بنهاية الشيوعية في قلعتها: (الاتحاد السوفيتى) و بسقوط جدار (برلين) و توحيد شطري ألمانيا الشرقية والغربية، ثم بنهاية حلف (وارسو) من صفحة الوجود، وبقاء الحلف الأطلسي كقوة عسكرية عظمى من بين القوتين العظيمتين في العالم. فبعد انفصام عرى الاتحاد السوفيتى السابق لم يبق للحلف الأطلسي – في نظره – عدو سوى الإسلام، لأن الإسلام هو وحده قادر على أن يقف في طريق فرض سيطرة هذا الحلف، و قبضته الحديدية على العالم كله، خاصة الدول الإفريقية، ودول الشرق الأوسط والأدنى من آسيا.

ولا ريب أن النظام العالمي قد اختل بعد انهيار الاتحاد السوفيتى، و أصبحت دول العالم الثالث الضعيفة ذات السيادة في العالم في خطر، لأن النوايا الاستعمارية للحلف الأطلسي المتمثل في الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية المتحالفة باعتبارها القوة العظمى في العالم – كانت ولا تزال واضحة في بسط سيطرتها للاستيلاء على آراضي الدول الصغيرة – دول العالم الثالث. وبالتالي بدأت تشعر الدول الإسلامية بأنها وقعت فريسة في كما شة الاستعمار الأجنبي مرة أخرى. فالولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الدول الغربية جنبها، وخاصة بريطانيا وألمانيا و فرنسا تتحارب الآن مع الإسلام في كل مكان، وذلك لفرض نظام مادي عالمي جديد يعرف باسم العولمة: (Globalization)وهى أصلا الأمركة: (Americanization) وكان من المعلوم أن الدول الإسلامية لن تستسلم بسهولة،

باعتبارها العدو الوحيد الذي يمكن أن تصمد وتقف ضد سياسات الغرب العدوانية ضد الدول والشعوب الضعيفة. فكانت الوسيلة الوحيدة استخدام القوة ضد الحق والعدل، والقهر الدعائي والإعلامي، والغز والفكري ضد الإسلام و كتابه الكريم، و نبيه العربي - ﷺ - عن طريق استئجار عقول بعض المثقفين المسلمين الذين تثقفوا ثقافة غربية، والذين باعوا ضمائرهم بثمن رخيص، لينشروا على ألسنتهم أفكارا تمهد لقبول الانسلاخ من الإسلام أو لتكون جماعات المسلمين الفقراء والبؤساء فرائس لمحاولات التنصير المخططة، كما يحدث في إندونيسيا وهي دولة إسلامية ذات أغلبية مسلمة. فتصاعد في الفترة الأخيرة الهجوم على الإسلام، وتواصل الافتراء عليه في حملات إعلامية و ثقافية متتابعة، تكيل التهم ضده، و تشوه مقاصده العظمية، ومبادئه الإنسانية، و تطعن في كتابه الكريم، و تسيء إلى حامل رسالته نبينا محمد ﷺ ، و تعبث بسيرته وسنته الشريفة العطرة، و تشوه دعوته لتنفير الناس منها، وصرفهم عن الإسلام، الذي اختاره الله سبحانه و تعالى دينا خاتما للناس: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا و نذيرا - سبا:٢٨) و (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - الأنبياء: ١٠٧) وقد تمادى هؤلاء في محاولة يائسة لصرف المسلمين عن القرآن الكريم بخاصة، فأكثروا الافتراء على سوره و آياته، وتجنوا على الكثير من أحكامه، و قدموا تفسيرات ظالمة مغايرة لمقاصده، وزادت جرأة أهل الباطل بافتراء كتاب جديد للمسلمين سموه (الفرقان الحق) ألفته إحدى اللجان المتخصصة في عداء الإسلام والمسلمين، من اثنى عشر جزء ا، ليكون - حسب زعمهم - بديلا للقرآن الكريم، وكتابا مقدسا للمسلمين في عصر العولمة.

والحرب الدائرة في افغانستان ثم في العراق، هي ليست أصلا بين الإسلام والديانات الأخرى: اليهودية والنصرانية في العالم، وإنما هي شنت من أجل بسط السيطرة والنفوذ، فهى ضد كل دين، وخاصة هي الحرب بين روحانية الشرق: (الديانات) و علمانية العولمة (مادية الغرب) التي تقودها أمريكا بالتعاون مع دول السوق الأوربية واليابان، وهي حرب شنت من أجل نشر الإلحاد واللادينية في الشرق، وخاصة هي موجهة ضد الإسلام، لأن

الإسلام هو الذي يستطيع أن يواجه هذه العاصفه (الأمركة) للاستعمار الأمريكي، وسياساته العدوانية ضد الدول والشعوب الضعيفة الآن ـ كما هو المطلوب ـ

ومن تلك الحملات العدائية ضد الإسلام صدر في الولايات المتحدة الأمريكية كتاب جديد عن دار نشر (كريكيت صونغ) عنوانه: (محمد رسول الهلاك: عقيدة الإسلام الإرهابية وفقا لكلمات محمد نفسه) ألف هذا الكتاب شخص اسمه (كريغ وين) بهدف الإساءة إلى الإسلام والمسلمين جميعا، هذا الكتاب يمثل ذروة العداء المتزايد ضد الدين الإسلامي الحنيف في بعض الأوساط المسيحية الأمريكية المتعصبة، و ذكر المؤلف في كتابه بعض كتب المراجع العربية مثل كتاب السيرة لابن إسحاق، والصحيح للبخاري، و تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، و تظاهر بذكر بعض الآيات الكريمة من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة بأنه درس (عقيدة الإسلام و رسالته). وباستخدام بعض النصوص منها وصف الإسلام بكل النقائص منها: الشر والزيف والإرهاب والسرقة و سفك الدماء والخداع والتلفيق، حتى الإله المعبود الذى هو وحده لا شريك له، جدير بأن يعبد ، وصفه بصفات لا تليق بشأنه جل جلاله.

فبذكر هذه الأسماء للكتب العربية لا يستطيع المؤلف أن يخدع أهل العلم بأنه قد درسها حقا، لأنهم يعلمون جيدا ما بداخل هذه الكتب القيمة، لأن المسلمين و غير المسلمين أيضا يعلمون علم اليقين أن النبي ﷺ نزل من (حراء) من جبال مكة بتنزيل إلهي من حكيم حميد، و جاء لإصلاح أمته، و هذا الكتاب لا ريب فيه، هدى للمتقين، فوق كل الشبهات في آياته البينات، ولم يحدث فيه أي تغيير ولا تبديل ولا تحريف طوال هذه القرون التي خلت من تاريخ الإسلام المشرق.

والموضوعات التي تناولها المؤلف في كتابه لا تختلف عما تناوله المستشرقون الذين سبقوه، وهي كلها تدور حول الوحي والنبوة والرسالة وبشرية القرآن الكريم، ثم الموضوعات الأخرى تندرج بالتالي في الحوار والمناقشة، إلا أن المؤلف قد تجاوز حده وانحرف في موقفه من الصفات الإلهية، حين طبقها على صفات الشيطان التي ذكرت في

الأناجيل المحرفة.فنحن سنقف عند هذه النقطة على وجه التحديد، وسنتناولها بشيء من التفصيل ـ إن شاء الله ـ بعد قليل ـ

صورتان متضادتان لعقيدة الإسلام ورسالته

لا شك في أن المسلمين يؤمنون بأن هذا الكتاب الذي جاء به محمد ﷺ وحي من الله سبحانه و تعالى، فهذا الكلام لله ذاتي، لأنه من إنشائه سبحانه و تعالى، والأناجيل المقدسة عند النصارى و المحرفة عندنا، هي ليست من إنشائه سبحانه و تعالى، وإنما هي من وضع الأحبار.

والمسلمون يعلمون جيدا ماذا يقول هذا المفتري؟ ولماذا يقول؟ ومن أين يقول؟ في الواقع إنه لم يدرس هذه الكتب الإسلامية التي أشار إليها على وجه الإطلاق، و إنما درس ما كتبه المستشرقون المتعصبون عن الإسلام، والنبي العربي ﷺ ، والقرآن الكريم باللغات الأجنبية سابقا، كما أنه لم يدرسها بالعربية، ولا يستبعد أنه درس بعض هذه الموضوعات من الإسلام المترجم في الغرب، الذي ترجم حسب أهواء المترجمين الموالين للغرب، ومعلوم أن الترجمة ـ مهما كانت أمينة و دقيقة ـ غدر و خيانة للأصل المترجم عنه في مجال البحوث العلمية. وقد يكون لمن يشك أو بالأحرى لليهود والنصارى أو لغير المسلمين أن يوجه الطعن في صحة نسبة هذا الكتاب (القرآن المجيد) إلى الله سبحانه و تعالى. ولكنه إذا أراد أن يدرس عقيدة الإسلام ورسالة نبيه ﷺ، فعليه أن يرجع إلى هذا الكتاب ليطالع تلك الموضوعات التي يريد أن يبحث فيها. و إذا كان الباحث من غير المسلمين، فعليه أن يفرق بين اعتقاداته واعتقادات المسلمين، فإن أراد أن يبحث عن عقيدة المسلمين، فعليه أن يبحث في ضوء معتقداتهم، لا في ظل توهماته هو.

فنحن نجد هذه الظاهرة عند المستشرقين عامة، وفي جميع الموضوعات التي تناولوها بالبحث والدراسة، فهولاء لا يدرسون الإسلام من وجهة نظر المسلمين، وإنما يستخدمون نظارة العداء السوداء للإسلام و المسلمين أولا، ثم يدرسونه، و يعرضون وجهات نظرهم كأنها وجهات نظر المسلمين ، ثم يستنبطون استنتاجات خاطئة.

ثم هؤلاء يعتمدون على القرآن الكريم وحده في إثبات دعاويهم أو إنكار الحقائق، وهم لا يؤمنون به بوصفهم مسيحيين، فكيف يعتمدون على مرجع لا يثقون بصحته؟

ولذلك يظن الكاتب (وين) أن الهجوم على الإسلام بلسان علماء المسلمين هو أفضل طريقة لتضليل المسلمين و إبعادهم عن دينهم، و هدفه من استخدام أسماء بعض المصادر والمراجع مثل القرآن الكريم، وكتاب السيرة لابن إسحاق ، و تاريخ الطبري، وصحيح البخاري هو أن يثق المسلمون بما يقوله الكاتب الضال (وين) في بحثه المضل.

وهنا يجد الباحث نفسه في موقف التأمل من حيث أن المؤلف لم يقرأ كتاب ابن إسحاق ولا تاريخ الطبرى، ولكن لماذا اختار شخصية هذين الرجلين العظيمين على وجه التحديد، رغم أن هناك مئات من الكتب في السيرة النبوية، و تاريخ الإسلام كتبها كثير من المفكرين المسلمين وغيرهم من المستشرقين أيضا؟ فلماذا لم يعتمد على كتب أساتذته المستشرقين؟ فهذا يظهر الخبث في نيته بشكل واضح. وأنه في الواقع درس آراء المستشرقين، إلا أنه لا يريد أن يفصح، ويعترف بحقيقة هذا الأمر، لأن الهدف من تأليف هذا الكتاب المضل هو أن يقرأ المسلمون كتابه هذا، وهو يعلم تماما أن المسلمين لا يسمعون كلام المستشرقين أبدا، لأن آراء هم في الإسلام ورسالته معلومة، وهي تلك التي دحضها علماء المسلمين بالبراهين القاطعة حين ظهورها كل مرة. فلا جديد فيما جاء به.

ثم يجب أن لا ننسى من كان ابن إسحاق؟ وما هي أهمية كتابه في (السيرة النبوية) فشخصيته جديرة بأن تدرس، وكذلك شخصية ابن جرير الطبري أيضا جديرة بأن تدرس لمعرفة لماذا اختارهما المؤلف دون غيرهما من المؤرخين و أصحاب كتب السير بالتحديد.

اهتم المستشرقون بكتاب ابن إسحاق باعتباره أول مرجع في السيرة، ثم باعتباره أنه هو الذي كشف أوراق أحبار اليهود، وكشف عن إسلام عبدالله بن سلام، و مخيريق اللذين كانا من علماء اليهود، وكانا يعرفان رسول الله ﷺ بصفاته التي بشرت بها التوراة، والرسول ﷺ يقول: " مخيريق خير يهود" وحين أخبر ابن إسحاق أن طائفة من أحبار اليهود شهدت على نبوة محمد ﷺ ، وذكر أيضا أن طائفة من علماء النصارى قدموا مكة و

سمعوا من رسول الله ﷺ و صدقوه بما قال " فشخصية ابن إسحاق لها في كتابه جاذبية لليهود والنصارى، ولكنهم لا يستطيعون تكذيب كل ماجاء به ابن إسحاق من وثائق في شأن إسلام أحبار اليهود والبشارة بالنبي ﷺ في الإنجيل. فقد وردت صفاته ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ التي عرفها علماء النصارى من وفد نجران وغيرهم ممن لم يحجبهم عن رؤية الحق تعصب ذميم أو تقليد أعمى أو هوى متبع. (١)

وكذلك شخصية أبي جعفر بن جرير الطبري المحدث، الفقية والمؤرخ المعروف الذي اشتهر بكتابيه: (تاريخ الأمم والملوك) الذي يعتبر أهم مراجع التاريخ الإسلامي، و (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ولد بطبرستان سنة ٢٢٤ هـ . كان كثير الحفظ، مستوعبا لعلوم القرآن واللغة، عارفا بأيام الناس وأخبارهم، وجمع من العلوم مالم يشاركه فيه أحد من أهل زمانه. (٢)

وحقا هناك جاذبية في شخصية الإمام أبي جعفر الطبري للمستشرقين من اليهود والنصارى، لأنه هو أوثق من هؤلاء الذين كشفوا أوراق اليهود والنصارى، وتلاعباتهم بالتوراة والإنجيل، حيث تناول شهادة أهل الكتاب على نبوة محمد ﷺ ، وفسر الآية: (الذين آتيناهم الكتاب) بالتوراة والإنجيل، و (يعرفونه كما يعرفون أبناء هم) بأن اليهود والنصارى يعرفون أن محمدا نبي مبعوث كما يعرفون أبناء هم. (٣) فالمستشرقون من اليهود والنصارى يهتمون بدراسة أقواله في تفسير الآيات القرآنية وخاصة ما يتعلق بهم، و بكتبهم المقدسة.

والموضوعات التيتناولها المؤلف (وين) في كتابه (في أكثر من سبعمائة صفحة) يبدومن دراستها أنها فوق طاقته، ولا غرابة في أنه ألف هذا الكتاب باستيحاء من بعض

(١) معركة النبوة مع المشركين من تأليف الدكتور إبراهيم زيد الكيلانى ص:(٧٤،٧٣) مكتبة الأقصى عمان ـ الأردن.

(٢) من حضارة المسلمين /د. أحمد مجاهد مصباح أستاذ التاريخ والحضارة ص:٨١ بجامعة الأزهر بالقاهرة.

(٣)الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ج:١٦ ص:٣٠٣.

الباحثين أو المتخصصين الذين باعوا ضمائرهم بثمن رخيص، فهذا لا يهمنا هنا سوى أن هذه الموضوعات لم تدرس منهجيا، لأن كل موضوع منها يحتاج إلى دراسة موضوعية وعلمية دقيقة، و صفحات الكتاب خالية من هذا النوع من الدراسة المنهجية والأمانة العلمية. ولذلك نراه يعرض عن الحق، ويصر على الباطل، فليس السؤال إذن: هل أنه درس هذه الكتب العربية؟ أو درسها في لغتها الأصلية؟ وهى العربية، أو درس ترجمتها بالإنجليزية أو بغيرها؟ السؤال هو: ما الذي دفعه ليلجأ إلى كتمان الحقائق العلمية؟ وكل من له الإلمام بتاريخ الإسلام يعلم جيدا أن الإسلام يواجه مثل هذه التحديات منذ البداية، وهذه هي العادة عند المستشرقين عامة هم يتناولون موضوعات شتى في مقال واحد بدون دراسة دقيقة، و يتظاهرون بعبقريتهم العلمية في بيئتهم، رغم أنها دائما تكون سطحية خالية من الدراسة الموضوعية والمنهجية المطلوبة، وبعيدة عن الأمانة العلمية التي يثق بها القارى، والتي يجب أن ننظر إليها بعين الاعتبار في مجال البحوث العلمية.

في الواقع لا يوجد فكر جديد في محتويات هذا الكتاب ـ كما قلنا ـ وإنما هي عبارة عن تلك المحاولات المتواصلة الفاشلة للنيل من القيم الإسلامية السامية التي نسمع صداها حينا بعد حين، وهي تلك النغمات الإستعمارية القديمة التي يعاد استخدام أسطواناتها من قبل المستعمرين المحتلين الذين كانوا يحتلون، ولا تزال في قلوبهم نوايا استعمار الدول العربية والإسلامية في الشرق بحيلة ومكر ـ كما هو معروف من دهاء اليهود عادة ـ والذين نسمع من ألسنتهم دروس حقوق الإنسان المزيفة والمساواة المزدوجة والعدالة المنحازة والديموقراطية الفوضوية من منابر منظمة الأمم المتحدة، وهم في الواقع يمتصون دماء الأبرياء وينهشون لحوم الشعوب الضعيفة في جميع أنحاء العالم، وخاصة في المشارق، هم يتجاهلون القوانين الدولية، ومحاولا تهم مستمرة لإبادة البشرية وخاصة الشعوب الضعيفة التي تبكي دما من جرائمهم البشعة المروعة التي أنهكت الشرق المسلم كله. وهم يعلمون علم اليقين من هو الإرهابى الأكبر؟ ولكن ظاهرهم يختلف عن باطنهم حين يقولون إن الإرهاب نابع من الدين الإسلامي يعنى القرآن الكريم.

نحن لا نجد عند مؤلف هذا الكتاب المضل أي شيء إيجابي في خانة الإيجابيات للإسلام، وهذا ليس من الإنصاف أبدا، لأن الخير والشر كلاهما يتواجدان جنبا إلى جنب في دنيا الإنسان، ومن باب الإنصاف يجب ألا ينسى هذه القاعدة (وليست إساء ة من أساء في الكثير وأحسن في القليل مسقطة إحسانه، ولو كثرت إساء ته أيضا، ثم أحسن لم يقل له عند الإحسان أسأت ولا عند الصواب أخطأت).

كما لا نجد في هذا الكتاب سوى هذه الكلمات المهملة: أن الإسلام هو الإرهاب ومحمد إرهابي والمسلمون كلهم إرهابيون، والجهاد هو الإرهاب، فهذا الدين باطل، هذه الكلمات ليست أكثر من هذيان شخص، وراء ها هو الخوف والفزع الدفين في قلوب المستعمرين من كلمة الجهاد، حقا إن الجهاد في الإسلام حق مشروع، وهو حقا عبارة عن الحرب ضد الأشرار والمفسدين في الأرض والمقاتلة مع أصحاب الشرائع المحرفة الباطلة. هم يخوفون الناس من كلمة الجهاد، مع أن الناس يعلمون تماما أن الجهاد ليس لقتل الأبرياء من غير حق، و يعلمون أيضا ماذا فعل هؤلاء المجرمون في أفغانستان والعراق، وخاصة بعد ما حدث ما حدث في مدينة نيويارك و وزارة الدفاع الأمريكية (بنتاجون) و أما الدول الإسلامية الأخرى التي هي لا تزال باقية على قائمة الإرهاب عند هؤلاء المفسدين، هي أيضا تنتظر دورها لهجمات هؤلاء المجرمين التدميرية.

ورغم أن هذا الكتاب ليس منهجيا ودراسة صاحبه فيه ليست دراسة موضوعية، حيث نرى فيه انحرافا عن الأساليب العلمية المعروفة عند المستشرقين النزهاء والمتعصبين الذين سبقوه، وذلك على الرغم من أنه استقى من كتاباتهم عن الإسلام. نحن نحاول أن نتناول بعض الموضوعات الأساسية منها لرفع الستار عن بعض الحقائق العلمية التي هي بمثابة مرآة، لعله سيرى فيها مصير جهده الضائع.

والموضوعات التي تناولها المؤلف الأمريكي في كتابه هي أصلا تنحصر فيما يلي:

١ – إن إله الإسلام (الله) بذاته يحمل تلك الصفات التى ذكرت للشيطان في

الأناجيل المقدسة.

٢ – النبي محمد (ﷺ) أكبر إرهابي ومن يتبعه إرهابي أيضا.

٣ – والكتاب الذي جاء به (القرآن الكريم) هو منبع كل إرهاب عنده.

فالموضوع الأول لا يحتاج إلى الرد، لأن إلهنا وإله غيرنا ليس سوى الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له، و ذاته و صفاته أزلية لم تتغير ولن تتغير أبدا، وأما ما يتعلق بالنبوة والرسالة لنبينا ﷺ، فسنرد عليه بشئ من التحليل والتفصيل ـ إن شاء الله ـ

قلنا إن المؤلف لم يقرأ تلك الكتب العربية التي أشار إليها باعتبارهاكتب المراجع والمصادر لدراسة الإسلام. فلا عجب إذا قال: " إن الإسلام لا يكون له وجود بدون كتاب ابن إسحاق"، فالسؤال الآن هو: هل القرآن الكريم أولا؟ أو سيرة ابن اسحاق أولا؟ كما قال: إن ابن إسحاق ألف كتابه بعد قرن من الزمان من وفاة النبي (ﷺ) ثم أهذه الآية (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) نزلت في أن يخلد القرآن، أو يخلد كتاب ابن إسحاق، إن القرآن الكريم عاش في قلوب المؤمنين في عهدالنبي الكريم ﷺ ولا يزال يعيش في قلوب ألوف من الحفاظ المسلمين في كل دولة إسلامية. وكثير من هؤلاء الحفاظ لا يعلمون كتاب ابن إسحاق في السيرة. وهذه الحقيقة مجهولة عنده، ولكنها لم تكن مجهولة عند ابن إسحاق، و معنى ذلك أنه لم يدرس كتاب ابن إسحاق ولا القرآن الكريم.

وحين يقرأ القارئ هذا المقال: (**صورتان متضادتان لعقيدة الإسلام و رسالته**) يعلم علم اليقين أن الإسلام دين تأليف القلوب، وألفة النفوس وليس ليخدع الناس و يسلب ممتلكاتهم بمكر و خداع، و يستعبد النساء والأطفال، و يرتكب جرائم القتل والإبادة والتعذيب كما يتوهم المؤلف (وين) أو كما ترتكبها الدول العظمى القوية.

وسيطلع على أن النبي ﷺ كان محسنا للإنسانية جمعاء، أرسله الله رحمة للعالمين، و بعثه ليتمم مكارم الأخلاق، فلا يتوهم أنه (ﷺ) كان رسول الهلاك. إلا أن المستشرقين

(٤) نقد العقل الدينى لمحمد أركون ص: ١٦١ ـ ١٦٥ دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى بيروت ١٩٩٨م.

وأعداء الإسلام عادة يضعون الإسلام و نبينا محمدا ﷺ في قفص الاتهام بما ذكر في التشريع الإسلامي عن الجهاد أو الحرب المقدسة، فعلينا أن نعلم أولا ما هو الجهاد.

أ. الجهاد الإسلامي أو الحرب المقدسة

ويحسن بنا أن نذكر هنا خلفية موجزة عن حقيقة الجهاد المشروع عند المسلمين، والحرب ضد الإسلام عند المستعمرين. الجهاد المشروع و ارد في الحديث النبوي. و محاربة سنة رسول الله ﷺ المطهرة من قبل المستشرقين ـ باعتبارها مصدرا مهما في التشريع الإسلامي ـ ليست أمرا غريبا، إذ بإبعاد السنة النبوية والتشكيك في مكانتها في التشريع يصبح التلاعب بالقرآن الكريم أمرا ميسورا.

فقام الاستعمار من جهة باستخدام طبقة من المرتزقة من منكري الأحاديث النبوية، وهذه الطبقة أنكرت في البداية أحاديث الجهاد بالسيف، ثم أنكرت السنة النبوية بكاملها.

إن الجهاد معناه: الكفاح من أجل الحرية والحق، والبقاء بالأصالة، والعيش بالكرامة. هذا اللفظ مشتق من الجهد وهو الكفاح من أجل الحياة والحرية، وإذا استخدمت كلمة (الجهاد بالسيف) فمعناها (حمل السلاح ضد الظلم لاسترداد الحقوق المغصوبة أو شن الحرب لحماية حقوق الشعوب الضعيفة، وإنقاذها من سطوة الأقوياء الظالمين) لأن الله خلقنا أحرارا، فكل إنسان له حق أن يعيش بحريته، و يتنفس في مجتمع تكون فيه الحرية مكفولة للجميع، لأن الحرية حق كل إنسان بالطبع. ولا يمكن أن يحرم أحد من ممارسة هذا الحق، كما لا يستطيع المرؤ أن يعيش من غير هذا الحق، لأن الموت أهون من عبودية الغير، ولأن الحرية هي الوجود، ولا وجود لسواها، إلا أن الدنيا عبارة عن الظالم والمظلوم منذ فجر التاريخ، ولذلك وضعت المجتمعات البشرية نظاما للمحاكم، لرفع التظلم، وإقامة العدالة، وذلك بعد أن عاشت قرونا طويلة في الحروب، و معلوم كم قرون مضت والإنسانية لاتزال تتأدب و تتثقف، ورغم ذلك المجتمعات البشرية المعاصرة لا تخلو من وجود ظالم و مظلوم، لأن

الإنسان القوي بطبعه يظلم الضعيف، كما يقول الشاعر:

الظلم من شيم النفوس، فإن تجد...ذا عفة، فلعلة لا يظلم

حتى نرى في تكوين مجتمعنا المتحضر أيضا هذه العناصر الاجتماعية الثلاثة: الظالم والمظلوم ثم المحاكم. إن الأمم والشعوب الإسلامية تسمي الحرب ضد الظلم بالجهاد المقدس، التي تشن من أجل استرداد حقوق الناس الضعفاء المظلومين، ومن أجل حقوق الإنسان في العيش بالكرامة، ولكن الحرب التي تشنها الولايات المتحدة الأمريكية في كل مكان، هي أصلا من أجل تدمير الشعوب والدول الإسلامية الضعيفة، لتصفية الحسابات القديمة، فلا يوجد فرق أصلا بين الحرب ضد الإرهاب (أو الإسلام كما يقولون) من موقع القوة، والجهاد المقدس للنجاة من سطوة الأقوياء الظالمين من موقع الضعف (كما نقول نحن المسلمون). والفرق بينهما معنوي، لأن الحرب من موقع القوة، لها علاقة بالمادة، والجهاد هوالروح المعنوية لحياة الشعوب الضعيفة، فالمادة تنتهي، وإنما الروح المعنوية تبقى و تدوم.

فقد أصدر أحد الباحثين الأمريكيين في العلوم السياسية منذ فترة قصيرة كتابا تحدث فيه عن مفهوم **الجهاد فى القرآن والإسلام**. نرى فيه أنه يعتبر أن العنف الذى يمزق حاليا عدداً كبيراً من المجتمعات الإسلامية ليس عن أزمات داخلية حادة فحسب، وإنما يعبر أيضا عن رد فعل هذه المجتمعات ضد ظاهرة العولمة التي تحمل فى طياتها الهيمنة الغربية. و يرى أن الاحتجاجات العنيفة ضد هذه الظاهرة ليست محصورة بالمجتمعات الإسلامية، وإنما هي مشتركة لدى جميع المجتمعات البشرية بما فيها المجتمعات الغربية. إنه رد فعل ضد القوى العمياء والكاسحة للعولمة.

(يتبع)

☆☆☆

الشعر والشعراء

العلامة أبو محفوظ الكريم المعصومى وشعره

بقلم: د. نثار أحمد الأعظمي
الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية بجامعة لكناؤ

الشيخ العلامة ابو محفوظ الكريم المعصومي بن الشيخ محمد أمير حسن (١٩٣١ م – ٢٠٠٩ م) يعد من الباحثين والمحققين المعروفين في هذا العصر، له مهارة تامة في فنون الشعروالأدب. والده الشيخ محمد أمير حسن كان عالماً جليلا وأستاذا فاضلا. قام بخدمة التدريس والإفادة كمدرس في مدرسة معين الإسلام بكلكتة، وكان رئيسا لهيئة التدريس في المدرسة الحمادية بداكة (بنغلا ديش). ابنه الأكبر الدكتور محمد صغير حسن المعصومي كان مصنفا شهيرا ومحققا بصيرا. نال شهادة الدكتوراه من جامعة آكسفورد (لندن) وحقق كتاب النفس لإبن ياجة الأندلسي المتوفى سنة ٥٣٣ هـ، وكان عضواً للمجمع العلمي العربي بدمشق، ونشرت تحقيقاته العلمية القيمة فى مجلة مجمع اللغة العربية.

أما ابنه الصغير أبو محفوظ الكريم المعصومي فقد ولد في قرية "مهوا توله" بولاية بيهار عام ١٩٣١ م ونشأ وترعرع وتلقى النحو والصرف والفارسية عن والده الشيخ محمد أمير حسن وعن أخيه الأكبر الدكتور محمد صغير حسن المعصومي وأخذ العلوم المتداولة عن الشيخ المفتي عميم الاحسان المجددي البركتي في المدرسة العالية بكلكتة، وعن العلامة السيد ولايت حسين البيربومي وعن الأساتذة الآخرين وأكمل المرحلة العليا في عام ١٩٤٢م وأخذ شهادة الفضيلة.

بعد تخرجه عين مدرسا مساعدا في المدرسة العالية بكلكتة عام ١٩٤٩م وعمل "محاضرا" للتاريخ والثقافة الإسلامية من سنة ١٩٥٠م إلى سنة ١٩٦٨م ثم " أستاذاً "

للحديث والتفسير من سنة ١٩٦٨م إلى سنة ١٩٩١م. وقد اتجه إلى العلوم العصرية أيضا وأخذ شهادة الليسانس من جامعة علي كره الإسلامية عام ١٩٦٧م، وشهادة الماجستير عام ١٩٦٩م بدرجة "ممتاز" ونال جائزة الامتياز، وفي عام ١٩٧٧م فوضت إليه الحكومة المركزية الهندية شهادة تقديرية Best teacher of Arabic languageوفى عام ١٩٩١م نال جائزة رئيس الجمهورية الهندية والشهادة التقديرية على إسداء الخدمات فى اللغة العربية وآدابها.

كان يكتب في المجلات المتعددة حول الموضوعات المختلفة في الأدب والتاريخ من أكثر من نصف قرن، وتنشر تحقيقاته العلمية وبحوثه القيمة في المجلات العربية الصاردة في الهند وخارجها، وكتابه "قصيدة خالد بن صفوان (شاعر القرن الأول) المسمى"بالعروس" نشرعام ١٩٥١م بتحقيقه الأنيق وقد حقق ـ أيضا ـ بعض المخطوطات النادرة و نشرها لأول مرة، منها:

١ – شرح الألفات لابن الأنباري

٢ – مسألة صفا ت الذاكرين والمتفكرين لعبدالرحمن السلمي

٣ – القول المسموع في الفرق بين الكوع والكرسوع للسيد مرتضى الزبيدي

٤ – أرجوزتان للسيد مرتضى الزبيدي

٥ – نسب قريش لزبير بن بكار (غير مطبوع)

٦ – كتاب التعليقات والنوادر لأبى علي الهجري (غير مطبوع)

٧ – بحوث و تنبيهات ـ في مجلدين ـ مجموعة لمقالاته وبحوثه نشرها دارالغرب الإسلامي بيروت ولبنان.

وله نظرات واستدراكات على المؤلفين المشهورين وعلى تصانيفهم، وله أيضا مؤلفات قيمة و مهمة منها:

نظرات في كتاب "المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للرامهرمزي، على طرر سير أعلام النبلاء للذهبي ـ ذكرى العلامة عبدالعزيز الميمني (المشتملة على ١٥٨ بيتا)، طرز اللآلي وسمطها الغالي حول ديوان حميد بن ثور الهلالي، قصيدة العروس، نظرة في قصيدة

العروس وأخواتها، نفاضة الجراب (حول ديوان ابن الدمينة) روائع نادرة في شعر جميل بثينة، ديوان بشربن خازم الأسدي، ديوان ابن مقبل، كتاب الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي .

نشر بعض مقالاته المهمة فى اللغة الإنجليزية فى "اندوايرانيكا" أى جمعية إيران بكلكتة. وهذه موضوعاتها:

١ – البيرونى ٢ – رباعيات خيام ٣ – ابن سينا

٤ – سعدى ٥ – تعليق على بزم تيمورية

ألقى محاضرات قيمة في دارالعلوم ندوة العلماء على طلب من الشيخ السيد أبي الحسن على الندوي حول الموضوعات التالية استفاد منها الأساتذة والطلاب.

١ – الإمام حسن الصاغاني ٢ – المحدث طاهر الفتني

٣ – النواب صديق حسن خان ٤ – أبوالحسن علي باخرزي صاحب دمية العصر

٥ – استعراضة نقدية على التفسير المظهري وغيرها.

للمعصومي قدرة كاملة في نظم الشعر في العربية والفارسية والأردية. نشرت قصائده ومنظوماته في اللغة العربية في المجلة العربية الصادرة من دارالعلوم ندوة العلماء. أعني: "البعث الإسلامي" و "الرائد" وهذه عناوين بعض قصائده في اللغة العربية:

كلكتة عبر ثلاث مائة سنة، رثاء الأديب الكاشغري، رثاء فقيد الأمة الإسلامية فضيلة الإمام الهمام مولانا السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي، رثاء الأستاذ سعيد أحمد الأكبر آبادي، ذكرى خدا بخش خان (بتنة)، أغاني التهاني (على كتاب شعراء الرسول لسعيد الأعظمي الندوي، في تصدير الكتاب روائع الأعلاق لأبي سحبان روح القدس.توفى ـ رحمه الله ـ في ١٧ /يونيو عام ٢٠٠٩م بكلكتة.

هذه بعض الأبيات من قصيدته في رثاء فقيد الأمة الإسلامية السيد أبي الحسن علي الندوي. (١٩١٤–١٩٩٩م)

تبكي الإمام، علوم الدين والعمل
تبكي الهمام، قلوب الناس والمقل
يبكى الإمام الهمام الفرد كل شج
راض بكل قضاء الله، يبتهل
تبكي الإمام الهمام الفرد ماهدرت
ورق الحمام إلى جرعاء ها تئل
تبكي أبا الحسن الندوي، ساقية
ثراه سحب، بإذن الله تنهمل
دارالعلوم تبكيه وندوة أهـ
ل العلم مادرسوا علما به عملوا
بالله أسرته تنمي مسلسلة
إني (على) وب (الزهراء) تتصل
هذا سمي (علي) في مكارمه
هذا كني (علي) لؤلؤ خضل
هذا الذي جاء من أجلى بني حسن
خلقا وخُلقا ووصّالا بمن يصل
أثنى عليه شيوخ الدين وهو فتى
بحسن سيرتهم ماعاش يزدمل
فجاء جماع أنواع الفضائل في
شخص وحيد بفضل الله يشتمل
من (راي بريلي) إلى أقصى المشارق والـ
ـمغارب اعتز أنى راح يرتحل
قد كان غرة وجه (الهند) نيرة
منها استضاء السنا الأقوام والنحل
سحبان دين الهدى طابت خطابته
لم يستقم دونها علم ولا عمل
باليعربية من تنميقه كتب
للأوردية من تحبيره حلل
مؤلفات له مشحونة غررا
بها المجامع طول الدهر تحتفل
أصغى اليه قحاح العُرب إذ سمعوا
مغزاه وهو بفصحى الضاد يرتجل
تجسمت دعوة الإسلام فانقلبت
تدعى (عليا) به العلياء تكتمل
الله أعطاه فضلا واسعا ويدا
ذوادة عن حمى الإسلام لا تشل
قد كان سيفا بإذن الله منصلتا
قولا وفعلا، وما في حده خلل
ما عاش، عاش بحبل الله معتصما
وبالأحاديث لم يلحق به كلل(١)

ومن قصيدته: أغاني التهاني بمناسبة نشر كتاب باسم "شعراء الرسول" للشيخ سعيد

---

(١) من إفادات الشيخ أبي سحبان روح القدس أستاذ الحديث بدارالعلوم ندوة العلماء لكناؤ.

(١)مجلة " البعث الإسلامى" لكناؤ عدد ربيع الثانى ١٤٢١هـ ص: ٦٢ – ٦٤.

الأعظمي، منها هذه الأبيات:

زودينا حمائم الأطلال ... بأفانين سجعك المتوالي
لقنينا بشد وكعب وحسا ... ن وشروا هما فحول الرجال
شعراء الرسول من زمن الصحـ ... ب كرام النفوس غر المعالي
شعراء الرسول ما فوقهم من ... شعراء مصاقع الأقوال
شعراء الرسول بالله لم يا ... توا بشيء من هجنة أو هزال
شعراء الرسول أكرم بهم من ... صُدُق في فعالهم والمقال
شعراء الرسول أعظم بهم من ... كرماء فطاحل الأبطال
شعرء الرسول عونهم فى الشعـ ... ر جبريل ملأك ذو فضال
شعراء الرسول أنصار دين ... الله جهرا فى السر والأعمال
لم يشب عدهم جفاء ولو كا ... ن قليلا ولا قذى الأوحال
لم ينل (هوميروس) أو (فرجل) ... أو شاعر ما ، حظوظهم من منال
(شعراء الرسول) في واقع الأمـ ... ر وحر القريض عقد اللآلي
اللآلي الرطاب أصدافها الصد ... ق والإخلاص ثم حسن الفعال
قد غذاها الإيمان بالله والرسـ ... ل وآيات ربنا ذي الجلال
إن اصحاب خاتم الرسل جاؤا ... إي ورب الورىٰ بسحر حلال
جبت بالله يا سعيد و عورا ... ووهادا دون الوجى في مجال
قد خدمت الفصحى الكريمة مذعهـ ... د طويل بلاوني و اعتلال
لك في معرض الصحافة في الفصـ ... حى يراع لم يشك أدنى كلال
لك في معرض الخطابة في الحـ ... ق لسان لم يرم باضمحلال
أنا بالله معجب بثرى أر ... ضك ماوى الليوث والأشبال
يا سعيد الرحمن ! كم أعظميا ... فقته بارعا عديم المثال (١)

☆☆☆

(١) مجلة "البعث الإسلامى" لكناؤ، عدد جمادى الأولى ١٤١٩ هـ ، ص ٨١ – ٨٣.

اللغة العربية

نشأة اللغة العربية وتطورها
في المراحل التاريخية المختلفة

مخلص الرحمن
جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي

إن اللغة العربية عريقة في القدم، وقد نشأت ونمت وتطورت حتى وصلت إلينا كاملة ناضجة في نصوص الشعر الجاهلي الموثوق بصحته " ولكن لا يستطيع الباحث اليوم أن يكشف عن أطوار النشأة الأولى للغة العربية، لأن التاريخ لم يسايرها إلا وهي في وفرة الشباب والنماء، والنصوص الحجرية التي أخرجت من بطون الجزيرة لا تفيد كثيرا أيضا، أما الأطوار التي أتت على اللغة العربية فوحّدت لهجاتها وهذبت كلماتها فهي معلومة بأدلة العقل والنقل " (١) وهي أقدم اللغات الحية، فليس في العالم لغة محكية أقدم منها، وهي إحدى اللغات السامية، وقد سميت هذه اللغات باللغات السامية لأول مرة في نهاية القرن الثامن عشر عندما كان يبحث "شلوتسر" (Schlozer) عن تسمية مشتركة للعبريين والعرب والأحباش الذين توجد بين لغاتهم صلات العرابة (٢)، ويريدون باللغات السامية اللغات التي كان يتفاهم بها أبناء سام – وهم في اصطلاحهم أهل ما بين النهرين وجزيرة العرب والشام – أشهرها العربية والسريانية والعبرانية والفينيقية والأشورية والبابلية والحبشية، ولم يبق حيامنها إلا العربية والحبشية والعبرانية والسريانية، والعربية أقواها جميعها، واللغات السامية أخوات لا يعرف لهن أم، وظن بعضهم أن اللغة البابلية أو الأشورية القديمة أمهن، كما أن اللغة اللاتينية أم اللغات الإسبانية والإيطالية والبرتغالية، ولكن المحققين لا يؤيدون

(١) عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي ص ١٥.

(٢) أحمد نصيف الجنابي: ملامح من تاريخ اللغة العربية ص ١٣.

ذلك، والمعول عليه أن هذه اللغات السامية أخوات انقرضت أمهن قبل زمن التاريخ. (٣)

إن اللغات السامية التي تفرعت عن اللغة الأم اتفقت في صفات وخصائص، ولكنها اختلفت في أخرى نتيجة لاختلاف الشعوب التي تتكلم بهذه اللغات، والعوامل المختلفة التي خضعت لها فأثرت في لغاتها، وعملت فيها عوامل التطور وهي تحكم كل لغات العالم، وعوامل التطور أثرت كذلك في اللغة العربية، فشأت لهجاتها وإن كنا نعرف أيضا أن اللغة العربية قد تطورت تطورا آخر حيث نشأ – بمرور الزمن – ما يسمى " باللغة المشتركة " فكان هناك اتجاهان، فالاتجاه الأول حدث في اللغة اليومية التي يتحدث بها العرب في الشؤون العامة والخاصة، أما الاتجاه الآخر فهو الذي امتازت به لغة الشعر، إذ إنه وصل إلينا بهذه اللغة المشتركة، وهي تكاد تخلو من اللهجات وهي ما تسمى " اللغة الفصحى " فاللغة العربية الفصحى ليست لغة قريش ولا لغة غيرها من القبائل العربية، وإنما هي اختيار لا شعوري من لغة هؤلاء وهؤلاء، حدث من احتكاك كثير من أفراد هذه القبائل في مواسم الحج والتجارة، والأسواق الأدبية المختلفة، فنتج عن هذا الاحتكاك الكبير بين القبائل ذلك الكيان اللغوي الذي عرفناه باسم اللغة الفصحى، وهذه هي اللغة المشتركة بين أدباء هذه القبائل جميعا، ولكن مع هذا كله تظهر لهجة قريش متفوقة بين هذه اللهجات كلها، ولم يرو لنا عن هذه اللهجة شيء يخالف ما نعرفه عن العربية الفصحى، سوى أنها لم تكن تُهمَز في كلامها، وقد اختارت الفصحى ظاهرة الهمز من لهجة تميم، ولذلك لا نعجب إذا رأينا بعض اللغويين العرب يجعل العربية الفصحى مرادفة للهجة قريش، فيقول ابن فارس مثلا: "أجمع علماء نا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالّهم أن قريشا أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة، وذلك أن الله جل ثناءه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبي الرحمن محمدا ﷺ ، فجعل قريشا قطّان حرمه وجيران بيته الحرام وولاته، فكانت وفود العرب من حجّاجها وغيرهم يفدون إلى مكة للحج ويتحاكمون إلى قريش في أمورهم، وكانت قريش مع حسن لغاتهم ورقة ألسنتهم إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم، وأشعارهم أحسن

(٣) جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ص ٣٧.

لغاتهم وأصفى كلامهم فصاروا بذلك أفصح العرب". (٤)

ثم نزل القرآن الكريم " بلسان عربي مبين " فكان ذلك حدثا هائلا ليس في عالم اللغة وحدها، بل في عالم خلق الإنسانية الجديدة، وفي عالم الأفكار التي حررت الإنسان من العبودية الجسدية والفكرية، وصلت به القمة السامقة، والكرامة الإنسانية، فكانت اللغة العربية قبيل نزول القرآن تسير في اتجاهين: الاتجاه الأول وجود اللغة المشتركة التي ينظم بها الشعراء، والاتجاه الثاني: وجود اللهجات التي يتحدث بها أبناء القبائل حديثهم اليومي، وعند ما جاء الإسلام ونزل القرآن الكريم فآمن به من آمن من العرب، وحّد قبائلهم في أمة واحدة، فكان لابد من توحيد اللغة وزوال هذه الحدود بين لغة مشتركة ينظم بها الشعراء، ولغة أخرى يتكلم بها أبناء القبائل، فكانت لغة القرآن لغة موحدة لأمة واحدة . (٥)

ثم مرت اللغة العربية في طور جديد إذ خرج العرب من الجزيرة مبشرين بالإسلام، حملوا معه لغة القرآن، فكان ذلك منعطفا جديدا في حياة اللغة العربية، إذ دخلت بلدانا جديدة وبيئات غريبة، فدخلت قلوب الملايين وأفكارهم، فلابد لمن يدخل الإسلام أن يتعلم العربية لغة القرآن، فَتَمَّ نقلها من لغة كان يتكلم بها قوم من الأقوام إلى لغة عالمية يقرأها كل من يدين بالإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وقد استطاعت اللغة العربية أن تكون لغة العلوم والآداب والفنون قرونا عديدة، فقد انتصرت في مصر على اللغتين القبطية واليونانية وفي المغرب على البربرية، وفي الشام على اليونانية وفي إيران على الفارسية. (٦)

إن الأمويين هم الذين جعلوا الإسلام دولة بعد أن كان دينا فحسب، فأيدوها ونشروا اللغة العربية في المملكة الإسلامية بنقل الدواوين من الرومية والفارسية إلى اللغة العربية، وبعد أن كانت مصر والشام والعراق كلدانية أو قبطية أصبحت هذه البلاد بتوالي الأجيال عربية النزعة، وتنوسيت لغاتها الأصلية، وهي تعد الآن من البلاد العربية، وإذا نزلها التركي

(٤) المزهر ١ / ٢٢١ نقلا عن ملامح من تاريخ اللغة العربية ص ٢٣ – ٢٤.

(٥) أحمد نصيف: ملامح من تاريخ اللغة العربية ص ٦٣.

(٦) نفس المصدر ص ٦، ٦٣.

أو الافرنجي أو غيرهما من أية أمة كانت وتوالد فيها عدّ نسله عربيا.

وعندما قامت الدولة العباسية (سنة ١٣٢ هـ) مرت العربية في دور الامتزاج بالحضارة، فأخذت وأعطت، وما أعطته أكثر مما أخذته، وإن كان الأخذ والعطاء بين اللغات الحية المتجاورة مبدأ ساريا وقانونا مطردا، فكيف إذا كانت العربية والعرب قد امتزجا امتزاجا بغيرهما؟ وفي هذا العهد ظلت اللغة العربية لغة العلم والفن والحضارة، وأصاب اللغة في هذا الدور تغيير كثير في ألفاظها بما نقل إليها من العلوم الدخيلة، وما اقتضاه التمدن من الألفاظ الإدارية، وما استلزمه التوسع في العلوم الإسلامية وغيرها من الأوضاع والمصطلحات العلمية والفلسفية والإدارية لتأدية ما حدث من المعاني الجديدة مما لم يكن له مثيل في لسان العرب، كما هو شأننا اليوم في نقل العلم الحديث إلى لساننا، وكانوا يومئذ أحوج إلى اقتباس الألفاظ الأعجمية وتبديلها، ولكنها أحدثت تنويعا في معاني الألفاظ العربية. وإليك أمثلة من ذلك، كان في حقل الطب مفردات محدودة كالحجامة والكي ونحو ذلك، فحدث منها ما يدل على فنون الطب كالكحالة والصيدلة والتشريح والجراحة والتوليد، وفي أسماء الأدوية كالمسخنات، والمبردات، والمرطبات، والمخففات، والمسهلات وما إلى ذلك من الأمثلة . (٧)

ويعد عهد هارون الرشيد الذي استمر ثلاثة وعشرين عاما (١٧٠–١٩٣هـ) عصرا ذهبيا، سياسيا وثقافيا وحضاريا، إذ كان عهد امتزاج الثقافات بشكل غير مسبوق، في أي عهد من عهود التاريخ الإسلامي، ونجد في عهده مجموعة كبيرة من أعلام اللغة البارزين أمثال سيبويه والكسائي والفراء والأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد الأنصاري، وكانت لغة الأعراب عند هؤلاء العلماء هي المثل الأعلى للفصاحة في حين كانت اللغة العامة تنتشر بين جل طبقات الناس، فحدث صراع بين اللغة المعيارية، واللغة المتحدث بها في واقع الحياة اليومية، فنشأ ما يسمّى بحركة " تنقية اللغة " التي كانت طريقا إلى تأليف ما يسمى بكتب "لحن العامة" غير أن الذي يلفت النظر أن بعض هؤلاء العلماء كان يلحن في حديثه اليومي !!

(٧) جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ص ٣٤١.

فقد أخذ على الفراء أنه لحن لمحضر هارون، وانه اعتذر في ذلك بأن اللحن عند سكان المدن لازم لهم كالإعراب عند أهل البادية.

فاللغة العربية معروفة المكانة في تطورها وتكاملها، ولم تظهر منزلتها المقبولة بين اللغات إلا بجهود علماء ها وسمّو آراء أدباء ها، فإن اللغات الأخرى كالتركية والفارسية مضت في تطور ولم تكتسب وصفا أدبيا لائقا من كل وجه كما هي عليه اللغة العربية التي احتذت أساليب القرآن العظيم، فإنه خلّد أبدع أسلوب وأجمله، وعلى كل حال إن اللغة تكاملت علميا وأدبيا، فنالت مقاما عظيما، فصار يغبطها الأقوام على سعتها، ومن عرف تاريخ هذه اللغات وآدابها قطع بالاقتباس من العرب، فالمهم هو أنه قد استطاعت اللغة العربية أن تكون لغة العلوم كلها خلال العصور العربية الإسلامية، وأن تصبح وسيلة للتعبير عن الأفكار منذ القرن السادس الميلادي، إنها لغة الإسلام بمفاهيمه المختلفة بحيث طمست خلال مدة قصيرة لغات عدة فصارت لغة أقوام عدة أظلهم الإسلام بظله.

لقد أتيح للمجتمع العربي الإسلامي في العصر العباسي أن يتصل بطائفة من الأمم، ثم نشطت فيها حركة الترجمة كما هو معروف لدى الكل، حتى تم نقل معارف كثيرة، هضمها المجتمع العربي الإسلامي وسجّلتها عبقرية اللغة العربية لغة القرآن، فقد كتبت فيها العلوم المختلفة من فيزياء وكيمياء وطب وصيدلة ورياضيات.

خلاصة الكلام أن اللغة العربية لغة العروبة والإسلام، وأعظم مقومات القومية العربية وهي لغة حية قوية، عاشت دهرها في تطور ونماء، واتسع صدرها لكثير من الألفاظ الفارسية والهندية، واليونانية وغيرها، وفي القرون الوسطى كانت المؤلفات العربية في الفلسفة والطب، والعلوم الرياضية وغيرها مراجع للأوربيين، كما أن اللغة كانت أداة التفكير ونشر الثقافة في بلاد الأندلس التي أشرقت منها الحضارة على أوربا، فبددت ظلماتها وقشعت عنها سحب الجهالة، ودفعتها إلى التطور والنهوض. (٩)

(٨) أحمد نصيف: ملامح من تاريخ اللغة العربية ص ١٥٩.

(٩) عبد العليم إبراهيم: الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية ص ٤٨.

وفي العصور الحديثة تهيأت للغة عوامل جديدة للتطور والتقدم، فقد ارتقت الصحافة، وانتشر التعليم، وأنشيء مجمع اللغة العربية، وهي الآن اللغة الرسمية في جميع الأقطار العربية، ولغة التفاهم بين جميع الشعوب العربية، كما أنها لغة التعليم في جميع المدارس والمعاهد وأكثر الكليات الجامعية، وهي كذلك لغة الصحافة والإذاعة والقضاء والتأليف في البلاد العربية.

إذن فمن حق اللغة العربية علينا أن نخلص لها وأن نبذل الجهود لرفع شأنها وسيادتها في المجتمع العربي، ومن حقها في الميدان التعليمي أن نوليها أكبر قسط من العناية وألانضن عليها بالجهد والوقت.



المراجع والمصادر

(١) جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت .

(٢) عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، دارالعلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ذو القعدة ١٣٨٨هـ.

(٣) د. أحمد نصيف الجنابي: ملامح من تاريخ اللغة العربية، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية.

(٤) د. شوقي ضيف: العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة ١٩٦٠ م.

(٥) عبد العليم إبراهيم: الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، دار المعارف بمصر، الطبعة السادسة ١٩٦١ م.

(٦) السيوطي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم وزميله: المزهر في علوم اللغة.

(٧) أحمد حسن زيات: تاريخ الأدب العربي.



آداب إسلامية:

أدب المزاح

الشيخ لطف الحق المرشدآبادى
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، جاركند

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فهذه كلمة موجزة في أدب المزاح، أريد أن أقدمها بين يدي القارىء الكريم ليعرف جيدا ما هي آداب وسنن المزاح في الإسلام؟ فأقول مستعينا بالله وحده.

بعض آداب المزاح:

١ – إذا حدث ما يستدعي الضحك فليكن الضحك تبسما دون صوت أو قهقهة فذلك أحفظ للمهابة والوقار، فعن جابر بن سمرة: أن رسول الله ﷺ كان لا يضحك إلا تبسما. (١)

٢ – أن يكون المزاح صادقا لا كذب فيه، ولا بأس بالتورية فيه بحيث يبقى لتأويلها وجه صادق. فقد داعب رسول الله ﷺ عجوزا فقال: "إنه لا تدخل الجنة عجوز" فقالت: وما لهن؟ وكانت تقرأ القرآن، فقال لها: أما تقرئين القرآن: ﴿إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا﴾ (٢) (الواقعة: ٣٦)

وعن أنس قال: "كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير – وكان له نغير صغير (طائر صغير) أحمر المنقار يلعب به فمات – يا أبا عمير ما فعل النغير "؟

وعن أنس أن رجلا استحمل رسول الله ﷺ فقال: إني حاملك على ولد الناقة. فقال الرجل: ما أصنع بولد الناقة؟ فقال ﷺ: وهل تلد الإبل الا النوق. (٣)

وعن أبي هريرة قال: قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا قال: "إني لا أقول إلا حقا". (٤)

---

(١) حديث صحيح أخرجه أحمد والترمذي ومالك.

(٢) رواه رزين في شرح السنة. (٣) رواه الترمذي وأبوداود.

(٤) أخرجه الترمذي وقال حديث حسن.

٣ – ومن الأدب أن لا نختلق الحكايات الخيالية ليضحك بها الناس، فإن ذلك لون من ألوان الكذب، وهو حرام، فقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله: "ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويل له فويل له". (١)

٤ – أن يكون المزاح مع أقراننا، فلا نمزح مع من هو أكبر منا سنا ولا مع ولي أمرنا أو مرشدنا، ولا مع من لا يتحمل المزاح ويتقبله، ولا مع امرأة من غير المحارم، ولا تمزح المرأة مع رجل من غير محارمها، فالحياء من الإيمان وهو أجمل خلق تتحلى به المرأة، فقد أثنى الله تعالى على ابنة شعيب – عليه السلام – لحيائها في قرآنه: "فجاء ته احداهما تمشي على استحياء". (٢)

٥ – أن يكون المزاح لطيفا مقبولا من الآخرين لا يسيء إلى أحد، ولا ينتقص من كرامة إنسان، ولا يؤذي أحدا بيده، ولا يستهزئ بعقيدة أحد، ولا يطعن في نسب، ولا يؤول آية ليمزح بها فيضحك الناس باستعمالها في غير موضعها. "فالمسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يخذله ولا يحقره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه". (٣)

٦ – أن لا نكثر من المزاح، بحيث يغلب على الجد ويصبح المزاح الصفة المميزة للمازح، فتسقط هيبته، وتُهان كرامته، ويتطاول عليه الهازلون، فقد أمرنا رسول الله ﷺ أن لا نكثر من المزاح بقوله: " روّحوا القلوب ساعة بعد ساعة ".

أما الإفراط في المزاح فمنهي عنه لأنه ليس من صفات المسلمين: ﴿ وإذا مروا باللغو مروا كراما ﴾. (الفرقان: ٧٢)

٧ – ليس من أدب الإسلام أن يصوب المسلم السلاح نحو أخيه المسلم ولو كان مازحا، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " لا يُشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده، فيقع في حفرة من النار ". (متفق عليه)

☆☆☆

(١) أخرجه أحمد وأبوداود والترمذي والدارمي وهو حديث حسن.

(٢) القصص: ٢٥.

(٣) رواه مسلم. (٤) انظر: أدب المسلم ص: ٨٠ – ٨٢.

العالم الإسلامي

مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف يطبع فهرست مصنفات التفسير

يقوم الباحثون في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة بأعمال علمية متميزة لخدمة القرآن الكريم وعلومه حيث طبع المجمع "فهرست مصنفات التفسير" والتي اشتملت على التفسير الميسر والفقه الميسر والتجويد الميسر، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، وانتهى من تحقيق "لطائف الإشارات لفنون القراء ات".

وأفاد الأمين العام لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة الدكتور محمد العوفي في تصريح بهذه المناسبة أن المجمع نهض بتوجيه من معالي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد لبناء معجم فريد لم يُسبق إليه يتعلق بجمع أسماء من كتب المصحف الشريف وأشهر الخطاطين له، ويحتوي هذا المعجم على تراجم من كتب المصحف الشريف بخط يده، سواء كان ممن اشتهر بحسن الخط وجودته أو تعاطى كتابته احتسابا لوجه الله أو إجازة، وسواء كتب وفق الرسم العثماني أم لم يُلتزم فيه بتلك القواعد.

وأردف يقول "إن هذا المعجم يرصد أشهر كتّاب المصحف الشريف وخطاطيه منذ صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ويدخل فيه من احترف الكتابة فأصبحت له مهنته، أو كان من القُراء أو المحدثين أو الفقهاء أو الأدباء أو السلاطين أو غيرهم، ويراعى في الترجمة الاسم والكنية واللقب، ثم عدد المصاحف التي كتبها وطريقة كتابته ويعني بالمعلومات التي تتصل بكتابته للمصحف ويلحق نموذج يبين خطه إن وقف عليه.

ولفت الدكتور العوفي الأنظار إلى أن إعداد مثل هذا المعجم يقتضي مسحا كاملا

للمراجع التاريخية والمظان المختلفة وهذا يعني أن استعراض مصنفات التراث الإسلامي أمر وارد في الحسبان للوصول إلى معجم يحصر كتاب المصحف على مدار القرون المتتابعة. وقد قام فريق العمل بزيارة أشهر المكتبات في المدينة المنورة للوقوف على المصاحف المودعة فيها، ومن هذه المكتبات مكتبة الملك عبد العزيز وما يلحق بها من مكتبات وقفية، ومكتبة الحرم النبوي الشريف، ومكتبة الجامعة الإسلامية، كما التقى فريق العمل ببعض الخطّاطين المشهورين الذين لهم دربة وتمرس بكتابة المصحف الشريف.

وأبان الأمين العام لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف أن العمل جار في هذا المشروع العلمي الذي يحصر كل من كتب المصحف وفق ترتيب هجائي ميسر، وسوف يزود المعجم بفهارس فنية وصور توضيحية، كما يقدم له بمقدمة علمية ضافية عن أسباب تأليفه، وتاريخ الكتابة عند العرب، وأنواع الخط العربي، وكتابة القرآن الكريم في العصرين النبوي والراشدي، ونشأة النقط والشكل ومواد الكتابة وأدواتها والخطوط التي كتب بها المصحف خلال القرون التاريخية، وفن التذهيب القرآني والطبعات المبكرة للمصحف، ومنهج العمل في المعجم، مؤكدا أن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف لن يألو جهدا في النهوض بالأعمال العلمية المنوطة به خدمة للباحثين العاملين في كتاب الله وعلومه.

(العالم الإسلامي، العدد: ٢٠٩٢، ١٤ / ذو القعدة ١٤٣٠هـ)

☆☆☆

ركن الطلاب

التحرير الوجيه في بيان فضل العلم وذويه

حسن البناء عبد الغفور
السنة الأولى للفضيلة

إن العالم بأسره مقتنع بأن الشيء يصير أحب عندما ينكشف القناع عن فضائله الوفيرة وينحسر اللثام عن عوائده الكثيرة، وبما أننا فضلنا العلوم الدينية بالتعلم على غيرها وددت أن أورد على ما عثرت بهذا الصدد من الآيات الكريمة والأحاديث الثابتة والآثار الحكيمة مما – على ما يرجو أخوكم – يمهد لنا السبيل إلى الوقوف على فضل العلم وأهله فنزداد إليه شوقا وتوقا فنظفر في العالمين السفلي والعلوي بما يغمر قلوبنا فرحة وسرورا. فأقول والله ولي التوفيق.

العلم لغة: نقيض الجهل: (لسان العرب للعلامة ابن منظور الافريقى، مادة: ع ل م) علمه، كسمعه، علما، بالكسر: عرفه. (القاموس المحيط للعلامة مجد الدين الفيروز آبادي ت ٨١٧ هـ، مادة: ع ل م)

وقال في موسوعة نضرة النعيم: مادة: ع ل م تدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره. (موسوعة نضرة النعيم ج٧ ص ٢٩١١)

العلم اصطلاحا: اختلفت الأقوال في التعريف الاصطلاحي للعلم.

قال الشريف على محمد الجرجاني: " العلم: هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقال الحكماء: هو حصول الشيء في العقل، والأول أخص من الثاني، وقيل: العلم هو إدراك الشيء على ما هو به، وقيل: زوال الخفاء من المعلوم، والجهل نقيضه، وقيل: هو مستغن عن التعريف، وقيل: العلم صفة راسخة يدرك بها الكليات والجزئيات، وقيل: العلم وصول النفس إلى معنى الشيء، وقيل: عبارة عن إضافة مخصوصة بين العاقل والمعقول، وقيل: عبارة عن

صفة ذات صفة". (كتاب التعريفات للشريف علي بن محمد الجرجاني ص ١٥٥)

وقال العلامة الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥): "العلم: إدراك الشيء بحقيقته، وذلك ضربان، أحدهما: إدراك ذات الشيء، والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفي عنه". (مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٨٠)

تقسيم العلم:

قسم ابن عبد البر – تغمده الله برحمته – العلوم إلى ثلاثة أقسام، فقال: "العلوم عند جميع أهل الديانات ثلاثة: علم أعلى، وعلم أوسط، وعلم أسفل:

١ – فالعلم الأعلى عندهم: علم الدين الذي لا يجوز لأحد الكلام فيه بغير ما أنزله الله في كتابه وعلى ألسنة أنبيائه صلوات الله عليهم نصا.

٢ – والعلم الأوسط: هو معرفة علوم الدنيا التي يكون معرفة الشيء منها بمعرفة نظرية، ويستدل عليه بجنسه ونوعه كعلم الطب والهندسة.

٣ – والعلم الأسفل: هو أحكام الصناعات وضروب الأعمال، مثل السباحة والفروسة والزي والتزويق والخط وما أشبه ذلك من الأعمال التي هي أكثر أن يجمعها كتاب، أو يأتي عليها وصف، وإنما تحصل بتدريب الجوارح فيها. (جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف عبد البر ت ٤٦٣هـ، ١/٣٥)

والعلم الذي أقصد الكلام حوله هو القسم الأول من هذه العلوم، فأتطرق حاليا إلى إزاحة الغطاء عن فضله وفضل أهله بالآيات القرآنية الصريحة والأحاديث النبوية الصحيحة والآثار النقية السنية بشيء يسير من التفسير والإيضاح للجزء المدلل به، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

قال الله تعالى ذكره: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (فاطر: ٢٨)

سرد الحافظ ابن كثير – رحمه الله – تحت الآية من آثار الصحابة العلية ما يغنيني عن المزيد من الإيضاح، فقال: "أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى، كلما

كانت المعرفة به أتم، والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر.

قال علي بن طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى، قال: الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير، وعن ابن مسعود – رضي الله عنه – أنه قال: ليس العلم عن كثرة الحديث، ولكن العلم عن كثرة الخشية، وقال سفيان الثوري عن أبي حبان التيمي، عن رجل قال: كان يقال: العلماء ثلاثة: عالم بالله، عالم بأمر الله، وعالم بالله ليس بعالم بأمر الله، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله.

فالعالم بالله وبأمر الله الذي يخشى الله ويعلم الحدود والفرائض، والعالم بالله ليس بعالم بأمر الله الذي يخشى الله ولا يعلم الحدود والفرائض، والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله الذي يعلم الحدود والفرائض، ولا يخشى الله – عز وجل –. (تفسير القرآن العظيم للإمام اسماعيل ابن كثير ٧٠١ – ٧٧٤، ٥ / ٢٨٣ – ٢٨٤)

وقال النبي عليه السلام – في حديث طويل فيما يرويه عنه أبو كبشة الأنماري – رضي الله عنه –: "إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالا وعلما، فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا، فهو صادق النية، يقول: لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان فهو نيته، فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما، فهو يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحما، ولا يعلم لله فيه حقا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما، فهو يقول: لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان، فهو نيته فوزرهما سواء. (جامع الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، رقم الحديث: ٢٣٢٥، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني)

والحديث أوضح من أن يراجع لإيضاحه إلى كتب الشرح للأحاديث النبوية – على صاحبها ألف ألف صلاة وسلام – .

وقال المسيح – عليه السلام – : من تعلم وعلم وعمل فذاك يدعى عظيما في ملكوت السماء. (العلم لزهير بن حرب (٧)، كذا أحال في موسوعة النضرة).

وقال جل وعلا: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم، وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾ (المجادلة: ١١)

فسر الحافظ ابن كثير – رحمه الله – الآية بأروع عبارة وأبدع أسلوب، فقال: "أي لا تعتقدوا أنه إذا فسح أحد منكم لأخيه إذا أقبل، أو إذا أمر بالخروج فخرج، أن يكون ذلك نقصا في حقه، بل هو رفعة ومزيه عند الله، والله تعالى لا يضيع ذلك له، بل يجزيه به في الدنيا والآخرة، فإن من تواضع لأمر الله رفع الله قدره ونشر ذكره. (تفسير القرآن العظيم ٦/١٥٣ – ١٥٤) قلت: تحوي الآية أهل العلم والإيمان فالبشرى السارة لهم جميعا.

وقال النبي – ﷺ – في رواية عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما، اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا. (صحيح البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، رقم الحديث: ١٠٠)

قال الحافظ: قوله: (لا يقبض العلم انتزاعا)، أي: محوا من الصدور، وكان تحديث النبي – ﷺ – بذلك في حجة الوداع، كما رواه أحمد والطبراني، من حديث أبي أمامة، قال: لما كان في حجة الوداع، قال النبي – ﷺ –: "خذوا العلم قبل أن يقبض أو يرفع". فقال أعرابي: كيف يُرفع؟ فقال: "ألا إن ذهاب العلم ذهاب حملته"، ثلاث مرات، قال ابن المنير: محو العلم من الصدور جائز في القدرة، إلا أن هذا الحديث دلّ على عدم وقوعه. (فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني ٧٧٣ – ٨٥٢ هـ، ١ / ٢٥٧)

وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –: العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد، وإذا مات العالم ثُلِم من الإسلام ثُلمة لا يسدها إلا خلف منه. (فهارس لسان العرب ١/٣٢٠، كذا أحال في موسوعة (النضرة).

وقال الله جل شأنه: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب﴾ (الزمر: ٩).

"أي: هل يستوي هذا والذي قبله ممن جعل لله أندادا ليُضل عن سبيله". (تفسير

القرآن العظيم ٥/٤٠٠)

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – ﷺ –: "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له". (صحيح مسلم مع شرحه للنووي، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم الحديث: ١٦٣١)

قال النووي: قال العلماء: معنى الحديث: أن عمل الميت ينقطع بموته، وينقطع تجدد الثواب له إلا في هذه الأشياء الثلاثة، لكونه كان سببها، وقال: وفيه بيان فضيلة العلم، والحث على الاستكثار منه، والترغيب في توريثه بالتعليم، والتصنيف، والإيضاح، وأن ينبغي أن يُختار من العلوم الأنفع فالأنفع. (المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٦/٩٠)

وقال سلمان – رضي الله عنه –: علم لا يُقال به ككنز لا ينفق منه. (العلم لزهير بن حرب (٨)، كذا أحال في موسوعة النضرة)

حصاد البحث

أنا أومن بأنه قد اتضح من البيان الوجيز السالف فضل العلم ومن تعلمه فعمل بمقتضاه اتضاح الشمس في رابعة النهار.

حاولت من خلال النقول المذكورة أن أصارحكم بأهمية وفضل العلم البالغين قدر الإمكان، وحتى تثبتوا مما استطرت، أوردت النصوص القاطعة التي تكشف القناع عن فضل العلم وأصحابه، فالذي يُطلب منا وقد ألممنا بما ألممنا أن نصب تركيزنا الكامل على التعلم والتعليم حتى نفوز بالدخول في زمرة أولئك الذين سبق أن قرأتم من فضائلهم ومناقبهم، وأن نبذل مجهوداتنا في سبيل الوصول إلى الغاية المنشودة لكي نكون من العلماء الذين يحسنون القيام بالدعوة والإرشاد ويبذلون في سبيلها أغلى أوقاتهم، فأتضرع إلى الله المجيب أن يوزعنا لما يحبه ويرضاه ويأخذ بنواصينا إلى الخيرات والمبرات ويوطد العلاقات فيما بيننا ويميزنا بالعلم الأنفع من بين أهل العالم كله.

هذا ما عندي والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وهو المستعان وعليه التكلان.

☆☆☆

من أخبار الجامعة

تمثيل الجامعة السلفية في الدورة التدريبية المنعقدة في جامعة على كره الإسلامية

تعقد جامعة علي كره الإسلامية بالهند دورات تدريبية لمدرسي المدارس والجامعات الإسلامية بين حين وآخر، وهذه الدورات لها أهمية بارزة في تزويد المدرسين بالمعلومات المفيدة والجديدة في ميدان التعليم والتربية، وهذا يساعد في تحسين أداء هم الوظيفي، وكذلك في رفع المستوى التعليمي بهذه المعاهد والجامعات.

وقد عقدت جامعة علي كره في شهر نوفمبر الماضي دورة تدريبية لمدرسي المعاهد الإسلامية بالهند لعشرة أيام في الفترة: ١٧ – ٢٦ ⁄ نوفمبر ٢٠٠٩ م شارك فيها عدد لا بأس به من المدرسين الذين وجهت إليهم الدعوة من منظمي البرنامج. ألقى فيها أساتذة الجامعات الدينية والعصرية محاضرات حول موضوعات التفسير والحديث والفقه والأدب العربي والأديان والفرق وطرق التدريس الخ.

وبدعوة من مسؤولي الدورة ألقى فيها كاتب هذه السطور ثلاث محاضرات حول الموضوعات التالية:

١ – التعريف بعلم الجرح والتعديل وعلم أسماء الرجال.

٢ – الأحاديث الصحيحة والضعيفة.

٣ – طريقة تدريس الحديث الشريف.

وأجاب على أسئلة المشاركين أيضا بعد كل محاضرة.

كان الأستاذ البروفيسور عبد الرحيم القدوائي مدير هذه الدورة، وكان الدكتور ضياء الدين ملك الفلاحي منسق البرنامج، وقد بذل الدكتور الفلاحي جهودا مشكورة في ترتيب برامج الدورة وتكريم المشاركين والمحاضرين. جزاه الله خيرا. (الأعظمي)

المجلة تهدف إلى

☆ إعلاء كلمة الله، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله، والتمسك بكتابه، وسنة نبيه ﷺ، بعيدا عن التحيز الفكري، والتعصب المذهبي، وتبليغ رسالة الإسلام، وتنوير الرأي العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها، ورفع مستوى الدراسات الإسلامية والثقافة الدينية.

☆ مقاومة الأفكار الدخيلة، والتيارات المنحرفة، والمباديء الهدامة، وضلال الزيغ والالحاد، وسائر المنكرات، بأسلوب علمي رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما فى نشره ضرر للمسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم.

☆ مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر، وشرح تعاليم الاسلام السمحة، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه، فى تعمق ووعي وجرأة ودأب، وعن إيمان وإخلاص.

☆ إيقاظ الروح الدينية، وبث الوعي الإسلامى فى الشباب المسلم، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة، وإعدادهم للاسهام فى معركة اللسان والقلم، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الإسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة.

☆ نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين فى الهند، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين، ورفع مستواها كتابة وخطابة.

☆ التوجيه الديني السليم للمسلمين فى القضايا الراهنة، والمشاكل الناجمة، حتى يتمكنوا من المضي فى طريقهم على هدى وبصيرة.

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد.

عـــدد صفحـــات الجـــزء: ٦٠